الاطايب

الجزء الاول

﴿ تمهيد ﴾ شرعنا منذ مدة بتأليف سلسلة من اجزاء متتابعة سميناها «المناهل» وهي تضم النكات والامثلة القصيرة التي انشأناها مستشهدين بها في المواقف الخطابية قصد تنبيه السامعين الى ادراك الحقيقة الاجتماعية باسلوب فكاهي يؤثر في النفس فارتاح اليها القراء وترجم بعضها الى الانكليزية احد الادباء --- وقد خطر لنا الان ان نقوم بخدمة تهذيبية ثانية وذلك باختيار مجموعة من حكايات شرقية وغربية مسهبة تجمع بين اللذة والفائدة وقد سميناها «الاطايب» لأننا نريد ان نضم فيها اطيب ما جاء من هذا القبيل فيغذي المطالع روحه وينير عقلهُ بمبادئها الطيبة كالوفاء والشجاعة والصبر والاخلاص والامانة وغير ذلك — والذي دعانا الى اختيار هذه المجموعة هو ما نراهُ من الفوضى في انتشار السخيف والخبيث من الحكايات والروايات التي يؤلفها بعض الكتاب او يترجمونها دون نظر الى ما تحدثهُ من تشويش في الاذهان والحط من الاخلاق

وهذا هو اول جزء (من الاطايب) نزفهُ الى الادباء والاديبات فعسى ان تكون خدمتنا مقبولة لدى الجمهور والسلام

جرجس الخوري المقدسي

١

الحب فوق المادة

عن الانكليزية

حادثة غريبة وقعت لقائد انكليزي اسمه الماجور كمبيون كان قد حصره الهنود هو وجماعة من الانكليز في حصن ببلاد الهند حتى اشتد بهم الجوع وتفشى بينهم المرض ونفد صبر رجاله فتقدم اليه احدهم واسمه برسكوت وقال :

اولا تزال مصراً على عدم التسليم ايها الماجور ؟ انك بعنادك هذا لا تقل قساوة عن الهنود السفاكين · وقال فريستون ان النساء والاطفال في ضنك

شديد ولا امل لنا بوصول النجدة فما معنى الثبات على هذه الحال ؟ فنهض الماجور وعلى وجهه واوجه رفاقه علامات الجوع الشديد — عظام بارزة وعيون غائرة وشفاه ذهب ماء الحياة منها فاصبحت كشفاه الاموات فقال كفانا جدالاً ايها الاسياد اني وعدت بالثبات الى النهاية ولا بدّ لي من القيام بوعدي

فقالوا وماذا ترجو من ذلك ؟ قال ارجو ان تصل النجدة قبل هلاكنا والا فالموت افضل من التسليم للشيخ عباس زعيم اعدائنا فانه لا يقبل منا الا التسليم المطلق بلا شروط ولا قيود وهؤلاء القوم لا ذمة لهم ولا عهد فيعذبوننا كما عذبوا فوستر من قبلنا ألا تذكرون امره معهم ؟

فقالوا ليست الساعة لدرس التاريخ الماضي ايها الماجور انك عازب لا زوجة لك ولا بنين فلا تشعر بما نشعر به نحن من العذاب الاليم ولو انا وحدنا في هذا الحصن لما ترددنا قط عن تجرُّع كأس الحمام حفظاً لشرف دولتنا اما ونساؤنا معنا واطفالنا تتضوّر جوعاً فلا سبيل الى الاصرار على المقاومة واذا لم تجبنا الى مطالبنا فانك تدفعنا الى ما لا تحمد عقباه !

فقال الماجور او تتوعدونني بالعصيان ؟ فاجاب برسكوت نعم فلقد يكون الهنود ارأف منك باطفالنا ونسائنا ثم خرجوا والغضب واليأس باديان في اعينهم

خلا الماجور كنيون بنفسه وجعل يفكر في الورطة التي هو فيها — الاعداء الالدّاء من الخارج والجوع والمرض من الداخل وقد دب اليأس الى افئدة رجاله فما العمل ؟

وبينما هو كذلك اذا بحفيف ثوب في باب الغرفة وفتاة في ريعان الصبا هيفاء القوام جميلة الطلعة تتقدم اليه فلما رآها وقف لها اجلالاً وقد صبغ الحياء وجهه فقالت بعد التحية هل الدكتور برنس هنا ايها الماجور ؟ قال لا ياسيدتي

فقد ذهب الى المستشفى لتفقد المرضى هناك قالت ان احد الاطفال في حالة الخطر الشديد الان ولا مندوحة لنا عن استحضاره ثم قالت اني ايها الماجور عالمة بوصية المرحوم والدي لك وان شرف نفسك يدفعك الى العمل بتلك الوصية ولكن ما العمل ونحن على ماترى ولو كان عرف والدي ما كان سيحل بنا لما ربطك بذلك ولما حذَّرك من التسليم للشيخ عباس فقال الماجور ان برسكوت قد تهددني بالعصيان ومع ذلك لم يستطع ان يغير عزمي ويثنيني عن العمل بوصية الكولونل المرحوم والدك اما انت فمن يقدر ان يراكِ تتألمين ولا يذوب قلبه حناناً واذا كانت هذه ارادتك فقد هان لديَّ كل عسير

قالت ان لي رأياً احب ان اعرضه عليك قال وما هو قالت كان المرحوم والدي ذكر لى ان في هذا الحصن كنزاً عظيماً يُعرف بكنز السيد عليّ وان مخبأه سري لا يعرفه احد سواك فما قولك لو تتفق مع الشيخ عباس على ان يسمح لنا جميعاً بالخروج من هذا المكان فترشده انت مقابل ذلك الى الكنز والرجل على سمعت طماع يحب المال ولا اظنه الا راضياً بذلك

فظهر الاضطراب على وجه الماجور اول سماعه ذلك ووقف مطرقاً كانما في المسألة امر خطير يحاول اخفاؤه ثم رفع بصره الى الآنسة « واسمها اودري هريوت » وقال نِعم الرأي رأيك وعسى ان يأتى بالفائدة المطلوبة ولما انتهيا من ذلك التفتت اليه وقالت اني اشعر بان الظروف التي نحن فيها الان لا تسمح لنا بالاهتمام بما هو خارج عنها على ان هناك امراً لا بدَّ من مفاتحتك به . انه قد سبق لك وطلبت يدي فترددت في تلبية طلبك وأشرت عليك بتأجيل ذلك الى فرصة اخرى اما الان فلا يسعني الا الاقرار باني احبك فهل انت باقٍ على محبتك لي ؟

فقال الماجور انك يا سيدتي قد طوّقت عنقي بجميل لن انساه وحملتني من الفضل ما لا يستطيع مثلي حمله وانت بلا ريب تعرفين عواطفي وتقرأين فؤادي على انني لا ارى من الحكمة ونحن في هذه الحال ان اربطك برابط كهذا ولا ارى لي حقاً وانا محصور في هذا المكان ان اتطال الى طلب يدك وعسى ان تسعدني الاحوال فاستطيع ان اتقدم اليك مكرراً طلبي الاول. فحاولت ان تجيبه لكنه سبقها فانحنى مودعاً وخرج

سار تواً الى غرفة فريستون وقال له تأهب فانك ستصحبني الى زعيم الهنود فقد عوّلت على عرض بعض الشروط عليه ثم امر برسكوت ان يتولى زعامة الحامية اثناء غيابه وخرج هو وفريستون الى خيمة الشيخ عباس يحملان علماً ابيض

فلما صار اليها تقدم الماجور الى الزعيم الهندي وقال بعد مقدمة ذكر فيها انه آتٍ لعرض شروط التسليم: انك قد سمعت بالكنز الشهير المعروف بكنز السيد عليّ ولا يخفى عليك انه لا يعرف مكان هذا الكنز احد سوايـ. فقد اتيت اليك بشروط اعرضها بشأنه فما قولك في ذلك؟ قال وما شروطك؟ قال — ان ترسل الليلة طعاماً الى الحامية وغداً يخرجون جميعاً من الحصن بالأهبة الكاملة وابقى انا معك حتى اذا وصلوا سالمين الى المكان الفلاني اعطوني علامة اتفق معهم عليها فارشدك الى محل الكنز فاطرق الشيخ ملياً وقد تمكن الجشع وحب المال من نفسه ثم قال ومن يضمن لي انك تعرف المكان؟

قال أليس بقائي معك تحت خطر القتل ضمانة كافية؟ فقال الشيخ قد قبلت شرطك واني اقسم لك انك اذا ارشدتني الى مخبأ الكنز اطلقت سراحك فقال الماجور وانا اقسم اني متى تيقنت من سلامة رفاقي ارشدك الى محل الكنز

ولما انتهى الاتفاق بينهما رجع الماجور ورفيقه الى الحصن وجاءهم في الليل الطعام من الهنود فاكلوا وفي الصباح خرجت الحامية وكان الماجور قد اتفق مع فريستون ان يرفعوا له متى وصلوا الى محل عينه لهم علماً يكتبون عليه بخط كبير ما يجعله يتيقن من سلامتهم · اما هو فبقي مع الهنود ثم اخذ مرقبه وشرع ينظر الى الجهة التي كان ينتظر منها اشارة الحامية

وطال الوقت فتبرم الشيخ عباس وانقد غيظه فقال للماجور ألم تأتك الاشارة ايها الانكليزي ؟ فقال الماجور برباطة جاش كلا لم ارها بعد

فقال الويل لك اذا كان في المسالة غدر او خيانة

فقال الماجور اني لم اخن احداً قط فلا تقلق كثيراً ثم وضع المرقب على عينيه فرأى العلم يرفع وقرأ عليه ما ياتي :

جميعنا سالمون

ثم قرأ ايضاً — النجدة قادمة من باراباد وسننضم اليها

فقال الشيخ وقد عيل صبره متى ترى اشارة قومك اني لم اعد قادراً على الصبر · فقال الماجور قد اتت فهيا بنا الى محل الكنز

***

لم تسر حامية الحصن قليلا حتى التقت بالنجدة المرسلة من باراباد وكان يرأسها كولونل محنك فقال لبرسكوت ولفريستون انني لمسرور جداً بمشاهدتكم جميعاً فقولا لي كيف نجوتم من الشيخ عباس وهو جبار عنيد لا يصطلى له بنار فقالا ذلك لعهد ابرمه الماجور معه فقال الكولونل وكيف ذلك فقصّا عليه قصة الكنز وكيف تمّ الاتفاق بين الماجور والشيخ على ما مر بنا لكنهما لم يكادا ينتهيان من الكلام حتى رأيا الكولونل وقد اخذ الاضطراب منه كل

مأخذ وقال يا للهول ! ان الماجور الآن في اشد العذاب فلنسرع الى انقاذه فدهشنا لما بدا منه وطلبنا منه جلية الامر فقال ان كنز السيد عليّ قد نقل من مخبأه وقد تولى نقله الماجور كنين بنفسه فهو سيريهم مخبأه كما وعد لكنهم لا يجدون فيه مالاً فلنسرع الى انقاذه من ايديهم هلموا ايها الابطال

***

مرّ على هذه الحادثة ثلاثة اسابيع وكانت اودري هربوت في اثنائها على احر من الجمر تنتظر اخبار الماجور والحامية وفي يوم من الايام والشمس قد مالت الى المغيب جلست الى نافذة في بيت الكولونل بياراباد وجعلت تنظر الى الافق البعيد وهي تناجي نفسها قائلة -- لِمَ انقطعت اخبارهم يا ترى اهلك الماجور والحامية ؟ ويلاه اني كنت المغرية له على التسليم للهنود . لا لا ان الماجور حي وساراه قريباً تحفه الابطال وتأتمر بامره الرجال

وهي كذلك دخلت امرأة الكولونل اليها وقالت اتتني اليوم رسالة من زوجي وفيها انهم استردوا الحصن من الهنود وانهم جميعاً بخير وسيصل هذا المساء الماجور كنيون وقسم من ابطاله

ولا تسلْ عما شعرت به اودوري من السرور فبقيت وحدها في الغرفة تنتظر وصول الماجور وكانت الشمس قد غابت واظلمت الغرفة فلم تبال وبقيت كذلك شاخصة الى الشارع حتى رأت عن بعد قسماً من الحامية ورأت بينهم الماجور فخفق فؤادها ولبثت تنتظر مجيئه بفارغ الصبر

لكن الماجور لم يأتِ فاستولى عليها ظلام اشد هولاً من ظلام غرفتها وحاولت الخروج من الغرفة لكنها لم تكد تهتم بذلك حتى سمعت كنيون يحييها ولم تستطع ان تراه جلياً في الظلام فردت التحية بلهفة وشوق وقالت —

اني كنت على مثل الجمر انتظر اخبارك فهات قبل كل شيء حدثني بما جرى لك مع الشيخ عباس · قال لما قرأت رسالة فربستون قلت للشيخ عباس اتبعني الى محل الكنز فتبعني ولما وصلنا لم يجد فيه شيئاً من المال فقال اين الكنز قلت هذا محله وقد وعدتك بان ارشدك الى مكانه السري وهذا هو اما الكنز فقد نقل الى باراباد ولا تسالي حينئذ عن شدة حنقه فامر بي ان اعذب واقتل ولكنه قبل ان يقتلني اتت الانباء بوصول النجدة فاسرع بالفرار من الحصن وبقيت انا فيه حتى وصلت الحامية فاخذت الحصن وحملتني الى باراباد وها انا بين يديك

فقالت اشكر الله على سلامتك واني لسعيدة جداً بمشاهدتك فلننسَ الماضي ولنهتم بامر المستقبل · قال اني آتٍ لاودعك يا سيدتي فاني عازم على الرحيل · فقالت وقد عرتها الدهشة ولمَ الرحيل الم اكن بانتظارك كل هذه المدة اعلل النفس بيوم الاجتماع ، ام انت بردت عواطفك فلم تعد تحبني

قال معاذ الله ان انسى حبكِ يا سيدتي ولكنك لولا الظلام الان لكنتِ ترين السبب الذي يحملني على الرحيل · ثم اقترب منها وقال انظري الى وجهي حسناً وقولي لي ايجوز ان اطلب يدكِ يا سيدتي ؟ فتراجعت الفتاة ذعراً لهول ما رأت ووقعت مغشياً عليها[1] لكن محبتها كانت اسمى من المادة فلما افاقت التفتت الى حبيبها وقالت اني يا ماركس احببتك انت وليس ليد العمى القاسية ان تزيل حبك من فؤادي نعم اني احببتك يوم كان النور ينبعث من عينيك النجلاوين فتيقن ان هذا القلب لا يزال اميناً لك محافظاً على ودادك · وسواء ابصرت ام لم تبصر فاني لك الى الابد

---

(١) كان الهنود قد كووا عينيه بالنار انتقاماً منه فاصبح اعمى لا يرى شيئاً

٢

وفاء الزوجين

من مرويات الاتليدي باختصار

جلس معاوية بن ابي سفيان في مجلس له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربعة ، وكان اليوم شديد الحر لا نسيم فيه . فاذا برجل يمشي وهو يتلظى من حر التراب، ويحجل في مشيته حافياً . فتأمله معاوية وقال لجلسائه: هل خلق الله سبحانه وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة في هذا الوقت ؟ . فقال بعضهم : لعله يقصد امير المؤمنين . فقال والله لئن كان قاصدي لاجل شيء لاعطيته واستجلب الاجر به . او مظلوماً لانصرنه . ياغلام قف بالباب فان طلبني هذا الاعرابي فلا تمنعه من الدخول عليَّ . فخرج فوافاه . فقال : ما تريد ؟ قال : امير المؤمنين . قال ادخل . فدخل فسلم . فقال له معاوية: ممن الرجل؟ قال من تميم . قال فما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ قال جئتك مشتكياً ، وبك مستجيراً قال ممن ؟ قال من مروان بن الحكم . قال اذكر لي قصتك وأبن عن امرك فقال

يا امير المؤمنين كانت لي زوجة وكنت لها محباً وبها كلفاً ، وكنت بها قرير العين طيب النفس . وكانت لي جذعة من الابل استعين بها على قوام حالي وكفاية اودي . فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر . فبقيت لا املك شيئاً . فلما قل ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي ، بقيت مهاناً ثقيلاً على الذي يألفني ، وابعدني من كان يشتهي قربي ، وازورَّ من لا يرغب في زيارته . فلما علم ابو زوجتي ما بي من سوء الحال وشر المال ، اخذها مني وجحدني وطردني

واغلظ عليَّ · فاتيت الى عاملك مروان بن الحكم راجياً لنصرتي · فلما احضر اباها وسأله عن حالي ، قال: ما اعرفه قط · فقلت: اصلح الله الامير ، ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول ابيها · ففعل وبعث خلفها فلما حضرت بين يديه، وقعت منه موقع الاعجاب ، فصار لي خصماً ، وعلي منكراً، واظهر لي الغضب وبعث بي الى السجن ، فبقيت كأنما خررت من السماء او القت بي الريح في مكان سحيق ، ثم قال لابيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة آلاف درهم ، وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابي ؟ فرغب ابوها في البذل واجابه الى ذلك · فلما كان من الغد بعث اليَّ واحضرني ، ونظر اليَّ كالاسد الغضبان وقال : طلق سعاد · فقلت لا · فسلط عليَّ جماعة من غلمانه فاخذوا يعذبونني بانواع العذاب، فلم اجد بدأ من طلاقها، ففعلت واعادني الى السجن ومكثت فيه الى ان انقضت عدتها فتزوّجها واطلقني · وقد اتيتك راجياً وبك مستجيراً واليك ملتجئاً · وأنشد يقول

في القلب مني غرامٌ للنار فيه استعارُ
والجسم مرمى بسهم فيه الطبيب يحارُ
وفي فؤادي جمرٌ والجمر فيه شرارُ
والعين تهطل دمعاً فدمعها مدرارُ
فليس الا بربي وبالامير انتصار

ثم اضطرب واصطكت لهاته، وصار مغشياً عليه واخذ يتلوّى كالحية · فلما سمع معاوية كلامه وانشاده ، قال تعدى ابن الحكم في حدود الدين، وظلم واجترأ على حرم المسلمين · ثم دعا بدواة وقرطاس، و كتب الى مروان بن الحكم كتاباً يقول فيه : انه قد بلغني انك قد تعديت على رعيتك في حدود الدين،

وينبغي لمن كان والياً ان يكف بصره عن شهواته ، ويزجر نفسه عن لذاته . ثم كتب كلاماً طويلاً منه

وُليت امراً عظيماً لست تدركهُ فاستغفر الله عن فعل امرىء زاني

ان انت خالفتني فيما كتبتُ بهِ لاجعلنك لحماً بين عقبانِ

طلق سعاداً وعجلها مجهزةً مع الكميت ومع نصر بن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه ، واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان ، وكان يستنهضهما في المهات لامانتهما ، فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما الكتاب اليه . فصار يقرأ ويبكي ثم قام الى سعاد واعلمها بالامر . ولم يسعه مخالفة معاوية ، فطلقها بحضر الكميت ونصر بن ذبيان ، وجهزها وصحبتهما سعاد . ثم كتب الى معاوية كتاباً يقول فيه هذه الابيات

لا تعجلنَّ امير المؤمنين لقد اوفي بنذرك في سرٍ واعلانِ

وما اتيت حراماً حين اعجبني فكيف أدعى باسم الخائن الزاني

اعذرْ فانك لو ابصرتها لجرت فيك الاماني على تمثال انسان

فسوف تأتيك شمس ليس يدركها عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين ، فسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب فقرأه وقال : لقد احسن في الطاعة واطنب في ذكر الجارية ثم امر باحضارها ، فلما رآها رأى صورة حسناء لم يرَ احسن منها ، ولا مثلها في الظرف والجمال والقدّ والاعتدال . فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال عليَّ بالاعرابي . فجيء به وهو في غاية من تغير الحال . فقال يا اعرابي ، هل لك عنها من سلوة ، وأعوّضك عنها ثلاث جوار نهد ابكار كأنهن

لاقمار ، مع كل جارية الف دينار · واقسم لك من بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك ؟ — قال فلما سمع الاعرابي كلام معاوية ، شهق شهقة ظن معاوية انه مات بها فقال له ما بالك بشرِّ بال وسوء حال ؟ فقال الاعرابي : استجرت بعدلك من جور ابن الحكم ، فبمن استجير من جورك ؟ وانشد يقول

لا تجعلني فداك الله من ملك كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاداً على حيران مكتئب يمسي ويصبح في هم وتذكار
أطلق وثاقي ولا تبخل عليَّ بها فان فعلت فاني غير كفّار

ثم قال والله يا امير المؤمنين لو اعطيتني الخلافة ما اخذتها دون سعاد · ثم انشد :

ابى القلب الا حبَّ سعدى وبغضت عليَّ نساءً ما لهنَّ ذنوبُ

فقال معاوية انك مقرٌّ بانك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ، ونحن نخيرها فان اختارت سواك تزوجناها ، وان اختارتك حولناها اليك

قال افعل · فقال ما تقولين يا سعاد ، ايهم احب اليك ، امير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وامواله وما ابصرته عنده ؟ او مروان بن الحكم في تعسفه وجوره ؟ او هذا الاعرابي في جوعه وفقره · ؟ فانشدت تقول

هذا وان كان في جوع واضرارِ اعزُّ عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج او مروان عامله وكل ذي درهم عندي ودينارِ

ثم قالت والله يا امير المؤمنين ، ما انا بخاذلته لحادثات الزمان ولا لغدرات الايام ولكنَّ له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وانا احقُّ من يصبر معه في الضرّاء كما تنعمت في السراء — فتعجب معاوية من عقلها ومودّتها ووفائها فدفع لها عشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابي فاخذها وانصرف

٣

المراة اثبت على العهود

كان عبدالله بن سلام واليًا بالعراق من قِبل معاوية · وكانت أرينب بنت اسحق زوجة له · وهي من ابرع بنات عصرها جمالاً واحسنهنَّ ادبًا واوفرهن مالاً · وقد سارت بذكرها الرُّكبان

وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها وفتن بادبها على السماع بما بلغه عنها من حسن الخَلق والخُلق · ولما عيل صبرهُ خص بسرّه خصيصاً بمعاوية اسمه رفيف · فذكر رفيف لمعاوية شدة شغف يزيد بها · فقال معاوية مهلاً يا يزيد قال علامَ تامرني بالمهل وقد عمدني (اسقمني) الحب · فقال ابوه واين حِجاك ومروءتك · قال له يزيد عيل الحجى وفقد الصبر · فقال له يا بنيَّ ساعدني على امرك بالكتمان والله بالغ امره

فاخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب الى عبدالله ابن سلام يستحثه على الحضور لمصلحة عينها له · فلما قدِم الشام اعدَّ له معاوية منزلاً حسنًا وبالغ في اكرامه

وكان عند معاوية يومئذ بالشام ابو هريرة وابو الدَّرداء · فقال لهما ان ابنتي قد بلغت واريد (زَواجها) وقد رضيت عبد الله ابن سلام لدينه وشرفه وفضله وادبه · وقد كنت لها في نفسها شورى ولكن ارجو الا تخرج عن رأيي ان شاء الله تعالى · فخرجا من عنده متوجهين الى ابن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته · فقال لها : اذا دخل عليك ابو هريرة وابو

الدرداء فعرضا عليك عبد الله ابن سلام · وحضاك على قبوله زوجاً وعلى المسارعة الى رضائي فقولي لهما ابن سلام كفوء كريم غير ان عنده أرينب بنت اسحق · وانا اخشى ان يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء · فلست بفاعلة حتى يفارقها

وكان ابو هريرة وابو الدرداء قد بلغا الى ابن سلام ما اتجه اليه خاطر معاوية فردها خاطبين عنه فلما مثلا بين يدي معاوية قال اني كنت اعلمتكما انني جعلت لها في نفسها شورى فادخلا عليها واعلماها بما رأيت لها فدخلا فأبدت ما قرره ابوها عنده من قبل · فعادا الى ابن سلام فأعلماه بذلك ففهم المراد واشهدهما عليه بطلاق ارينب وبعثهما اليه خاطبين

ولما دخلا على معاوية وعلم بطلاق ارينب اظهر كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا احببته فانصرفا في عافية ثم عودا الينا وكتب الى ابنه يزيد يبشره بما كان

وعاد ابو الدرداء وابو هريرة بعد ذلك الى معاوية فامرهما بالدخول على ابنته وهو يقول لم يكن لي ان اكرهها وقد جعلت الشورى لها في نفسها · فدخلا عليها واعلماها بطلاق ابن سلام ليسرّاها بذلك وذكرا فضلهُ وشرفه وجوده ومروءته

قالت لا انكر شرفه ولا فضله · واني سائلة عنه لاقف على دخيلة امره ولا حول ولا قوة الا بالله · ثم تزايد حديث الناس بطلاق ارينب وخطبة ابنة معاوية · واستحثّ ابن سلام ابا الدرداء وابا هريرة · فاتياه فقالا لها اصنعي ما انت صانعة واستجيري بالله فقالت ارجو ان يكون الله قد اختار لي فانه لا يكل الى غيره وقد سبرتُ امره وسألت عنه فالفيته غير ملائم ولا

موافق لِما ابتغيه لنفسي مع اختلاف من استشرتهم فيه فمنهم الناهي عنه ومنهم الآمر به

فلما بلغه كلامها علم انها حيلة قد خدع بها وقال متعزياً ليس لامر الله من رادّ ولعل ما سرّوا به لا يدوم لهم سروره . وذاع امره وفشا في الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ما صنع

ثم ان معاوية بعد انقضاء ايامها المعلومة وجه ابا الدرداء الى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فشخص حتى قدِمها وبها يومئذ الحسين ابن عليّ ابن ابي طالب رضي الله عنهما فقال ابو الدرداء لا ينبغي لراجح العقل ان يبدأ بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب اهل الجنة اذا دخل موضعاً هو فيه

ولما اقبل قام اليه الحسين وصافحه وقال ما اتى بك يا ابا الدرداء قال وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد ارينب بنت اسحق فرأيت عليّ حقاً ألاّ ابدأ بشيء قبل السلام . فشكر الحسين له ذلك واثنى عليه . وقال لقد كنت ذكرت (التزوج بها) واردت الارسال اليها اذا انقضت عدّتها وقد اتى الله بك فاخطب على بركة الله عليّ وعليه وهي امانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل معاوية عن ابنه فقال افعل ان شاء الله

ولما دخل عليها قال ايتها المرأة ان الله برأ الخلق بقدرته ، وجعل لكل امر قدراً ولكل قدر سبباً ، فليس لاحد مخلص مما كتبه الله ، وقد كان ما كان لكِ من فراق عبدالله ابن سلام على غير قياس ، ولعل ذلك لا يعيرك ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وقد خطبك امير هذه الامة وابن ملكها ووليّ عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية ، والحسين ابن عليّ ابن ابي طالب سيد شباب اهل الجنة . فاختاري ايهما شئتِ

فاطرقت وسكتت طويلا ثم قالت يا ابالدرداء لو جاءني هذا الامر وانت غائب لأرسلت فيه الرسل اليك فاما اذا كنت انت المرسل فيه فقد فوّضت امري بعد الله اليك وجعلته في يديك ، فاختر لي ارضاهما لربك والله شاهد عليك ، فاقض لا يَصدِفك (لا يصرفك) عن ذلك اتباع الهوى فليس امرهما عليك خفياً

فقال ابو الدرداء ايتها المرأة ، انما عليّ اعلامك ولك الاختيار لنفسك . فقالت عفا الله عنك انما انا بنت اخيك فلا يمنعك احد عن قول الحق فيما طوّقتك به ، فوجب عليك اداء الامانة فلم يجد بدّاً من القول واختار لها الحسين فقالت قد اخترته ورضيته وبلغ معاوية ما فعله ابو الدرداء فعظم عليه وقال ارسلته خاطباً فتزوج

واطرح معاوية عبد الله ابن سلام وقطع عنه جميع روادفه لقوله انه خدعه حتى طلق امرأته ، فلم يزل يجفوه حتى قلّ ما بيده . فقفل عائداً الى العراق فلما قدمها لقي الحسين فسلم عليه ثم قال قد علمت ما كان من خبري وخبر ارينب وكنت قبل فراقي اياها استودعتها مالاً وكان ما كان ولم اقبضه ووالله ان ظني بها جميل . ذاكرها في امري فان الله يجزيك به اجرك . فسكت عنه

ولما انصرف الى اهله قال لها قدم عبد الله ابن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك ، فسرني ذلك واعجبني وذكر انه استودعك مالاً قالت صدق استودعني مالاً لا ادري لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيراً وقال ألا ادخله عليك حتى تبرئي منه

ثم لقي عبد الله فقال ما انكرتْ مالك وزعمتْ انه لا يزال كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها واستوفِ مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله ابن سلام قد جاء يطلب وديعته

فاخرجت البِدَر (جمع بَدْرة وهي كيس فيه عشرة الاف درهم) فجعلتها بين يديه وقالت هذا مالك فشكر واثنى وخرج الحسين وخلى بينهما وفضّ عبد الله خواتم بدره وحثا لها (اعطاها) من ذلك جانباً وقال والله هذا يسيرٌ مني فاستعبرا حتى علت اصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رقّ لها فطلقها ولما انقضت عدتها تزوجها عبد الله ابن سلام وعادا الى ما كانا عليه من الصفاء ورخاء العيش الى ان فرّقت بينهما صرعة الموت

٤

الوهم الكاذب

الصحافي الاديب كال بك الشمعه مولع بالحكايات فلما بلغه مشروعنا باصدار مختارات «الاطايب» اتحفنا بمجموعة خطية عربها بقلمه وسماها «صور من الحياة» تحتوي على عدد كبير من لطائف القصص فاثبتنا منها في ما يلي اربع حكايات ذات مغاز تهذيبية وهي : «الوهم الكذب» و «قوة الحب» و «على القبر» و «الرق الصامت» شاكرين الاديب على تحفته السنية هذه واليك هي :

اكتب اليك هذه الرسالة يا سيدي ، وقد افعمتها بما يساور قلبي من ثورة وحمية خالصتين ، فانا احدى المعجبات بك وبفنك . ولا اكذبك اني ما شاهدتك ليلة الامس تمثل في رواية «الحب والموت» حتى شعرت بنار تتسعر في احشائي وتتمشى في اعضائي ، ولكم غدوتَ في عينيَّ عظيماً ، سامياً ، رقيقاً تتقلب مع المواقف بحذق ومهارة فائقتين ، فتارة ذلك الجبار الهائل المخيف ، وطوراً ذلك الفتان الحنون الوديع

وقصاراي ان اقول لك انك ملكتَ مشاعري وذهبت بفؤادي كل مذهب ، فلكم تسلطتَ عليَّ بتلك القوة السحرية الكامنة فيك ، وذلك الغرام المضطرم بين جوانحك ، وهل من الممكن انك لا تعاني ما تعبر عنه

سأظل في باريس يوماً آخر يا سيدي ويشق عليَّ ان اعود الى قريتي

دون ان اراك ثانية ، فهل تبخل عليّ بمقابلة صغيرة . مقابلة اصارحك فيها باعجابي ؟ — ناشدتك الله ان لا ترفض

«بلانش»

حاشية : لقد بعثت اليك بهذه الرسالة الى المسرح ، وسأنتظرك مساء الغد ، في نحو الساعة الخامسة في شارع اللوفر وسأضع في خصري زهرة سوسن كي تعرفني

وعند ما انتهت السيدة بلانش هارودون من كتابة الرسالة في مكتب البريد غلفتها والقتها في الصندوق والابتسامة تعلو مبسمها الفتان وانصرفت غارقة في خضمٍ فضفاض من الخواطر والافكار

أيوافيها ... هل تجروء فتأمل ذلك — انه كثيراً ما يتلقى رسائل المعجبات فهل يأبه لرسالتها هذه ، ولكن لئن اجابها الى ملتمسها ، فاي فوز ، بل اية ذكرى جميلة خالدة تحملها الى اعماق قريتها ؟ !

اواه ، انها لن تقابله سوى هذه المقابلة ، فهي شريفة النفس ، طاهرة الذيل ، وقد احتفظت بعفافها حتى هذه السن ، سن الثلاثين ، ولا ريب انه على جانب عظيم من الجمال والجاذبية ، حتى استطاع ان يسكن قلبها ويستأثر بحبها ويجعلها تعزم العزم الاكيد على تسليم نفسها اليه

لقد كان طلبها جنونياً ، ولكنها لم تستطع التغلب على رغائبها الجامحة . فماذا تصنع ، ان اقامتها هذه الايام القلائل في منزل شقيقتها في باريس قد وترت اعصابها ، وذهبت بلبها فكم كان الفرق عظيماً بين هاتين الحياتين ، حياة اللهو والمرح في باريس وحياة الهدوء والسكون في القرية

وكان الدوار لا يفارق راسها الصغير ، وكأنها رقصت اياماً طوالاً ،

فبعثت الى ذلك الممثل العظيم بتلك الرسالة مظهرة اعجابها وتقديرها ، كما لو القت عليه باقات الازاهير الناضرة وهو على خشبة المسرح

وكان نانسي جميلاً برشاقته وخيلائه ، ظريفاً بشعوره السوداء الغزيرة فاتناً بوجهه الملائكي الساحر — ولا جرم انه بارع في احاديث الحب والغرام

آه ، لقد مضى عليها زمن طويل لا تسمع كلمات حب ، نعم لقد خاطبها زوجها بتلك اللغة الساحرة قبل الزواج وفي شهر العسل ولكنه لم يلبث ان انهمك في ما ينهمك فيه اعيان القرى من صيد وقنص وولائم تاركاً اياها وحيدة في المنزل تتفتح كالزهرة تحت قطرات الندى

وقد ارادت قبل ان تكبر وتشيخ ، قبل ان تتلاشى قواها ويتهدل جسمها ان تتذوق طعم اللذة الغرامية وان تعيش في عالم الاحلام ولو ليلة واحدة وماذا يهمها بعد ذلك ان قام الزمن بتجعيدها وهدّ حيلها ، ألا تظل تلك الذكرى منعشة لروحها وغذاء لقلبها — لقد رامت ان تقتطف وهي لا تزال في نضرتها وزهوها قبل ان تذوي وتذبل وتسقط الى الثرى

....

وظهرت السيدة هارودون في نحو الساعة الخامسة في شارع اللوفر وهي مبتهجة جذلة وقد انستها المقابلة الرهيبة المسكرة زوجها ومنزلها واولادها ، انستها طهارتها وعفتها وشرفها ، انستها العالم باسره

وانها لسائرة في ذلك الشارع تبحث بعينيها الثاقبتين عن نانسي اذ رأت عجوزاً طاعناً بيّضت السنون شعور راسه وجففت ماء وجهه يتقدم منها ببطء وتمهل مستنداً الى عصاه — ايه ، ولكنه ليس هو !

ورأت الشبه العظيم بينهما فقالت في نفسها « لربما كان والده » ثم

صاحت بعد برهة صيحة الجازع قائلة : -- هو ! !

اتصدق عينيها ، ولكن اين مشيته الثابتة ، اين جسمه الضخم وعضله المتين بل اين تلك الشعور السوداء الفاحمة

ارادت ان تفرّ هاربة من امامه ولكنه قد عرفها ولا ريب من تلك الزهرة التي وضعتها في خصرها

ودانا‌ها العجوز وهو يقول : -- أ انتِ التي كتبتِ لي يا سيدتي

وكانت نغمة صوته نفسها ، كانت تلك النغمة الشجية الاخّاذة ، فغمغمت قائلة : - نعم يا سيدي

وانعمتْ النظر الى وجهه ، وقد وقف تجاهها فاذا هو غائر الخدين والعينين كثير الغضون ، فهل تواعدتْ مع هذا الشيخ ؟

وقرأ نانسي في عينيها ما يجول بخاطرها فقال

اجل يا سيدتي ان فاتنك عجوز متهدم ولستِ اولى المخدوعات فكثيراً ما اتلقى من النساء رسائل حب واعجاب . فمنهنّ من تطلب اليّ موعداً ومنهنّ من تسألني ان ابادلها الغرام . ولكن ثقي اني لا اجيب نداءهنّ مطلقاً لاني اود ان يظل هذا الوهم الكاذب مستحوذاً عليهنّ ولكي لا اجلب لنفسي الحزن والكآبة

اذن كيف وافيتكِ ؟ ، لقد رأيت في رسالتك سذاجة وصفاء قلب أثّرا فيّ تأثيراً شديداً فبادرت لاطرد عنك هذا الوهم وانجيك من حبي ، اجل اني اردت ان اريك نفسي كما انا كي تخمد جذوة الميل الدفيء المضطرمة بين ضلوعكِ

ولكن ... اواه ، اعلم ما بودك قوله ، فانتِ تظنين بعد ان رأيتني اني

الممثل الوحيد الذي يتوهمني النظارة في نضارة الشباب وميعة الصبا وان من الفنانين من هم في شباب حقيقي ولهم جمال طبيعي جذّاب ، اني اؤكد لكِ بانك مخدوعة واهمة في كل ظن ، فالكهولة ليست في الوجه والراس والجسم فحسب بل قد تكون في القلب ، والحياة كثيراً ما اذبلت القلب واذوته دون ان تمس الجسم

وصمت برهة ثم قال : الستِ متزوجة ؟

فضرّج الخجل وجنتيها وقالت — بلى يا سيدي

ألكِ اطفال ؟

فانتقلت حمرة وجنتيها الى عينيها وقالت : — نعم يا سيدي

اتقيمين في ضواحي باريس ؟ — اجل يا سيدي

وتلا ذلك صمت قصير ، ثم غمغم نانسي يقول

حسناً يا بنيتي ، عودي الى قريتك وزوجك واطفالكِ . انت جميلة ذكية فتانة فزيّني منزلك بهذه المنح السماوية ، لا ريب انكِ في دهشة لسماعك من ممثل نصائح كهذه ، اليس كذلك

حقاً يا سيدي ؟

— اني لم ابلغ هذه السن الطاعنة الاّ واختبرت اكثر الامور وقد تأكد لديّ بان الانسان يقنع بكل شيء ان لم ينظر الى سواه ، انكِ تبحثين عن ليلة حب تقضينها في احضان مَن اعتقدتِ انكِ احببتهِ كل الحب ، ظانة انها مرة واحدة لن تعودي الى مثلها وتظل في طي الخفاء ، انتِ مخطئة ، وما اوخم العواقب التي تجرها هذه الليلة ، فمتى زلت بكِ القدم ، وانت على شفير الهاوية فانك لا تجدين نفسك الا وقد اصبحتِ في الحضيض

ان السعادة الحقيقية حولك بل في متناول يدك ، فتذوقيها ولا تبحثي عن سواها

انصتت السيدة هارودون الى كلمات الشيخ خفرة مرتعدة ، ثم خطر لفكرها انه لا يسديها هذه النصائح الا لانه لم يعد في استطاعته مغازلتها ، واشباع رغائبها، غير انها لم تلبث ان عادت الى صوابها ، فقدرت هذه النصائح الثمينة حق قدرها وتمتمت تقول :

شكراً لك يا سيدي على ما اسديتني من نصائح وثق بأني ساتبعها

فقال ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة الظفر :

والان فسأطلعك على السر في جمال شعوري السوداء على المسرح · فاني اجد عند عودتي في مساء كل يوم مئات الرسائل تنتظرني فامزقها والقي بها الى النار ، وما ان تستحيل الى رماد، حتى اصنع منها خضاباً جميلاً لهذه الشعور الناصعة البياض التي ترينها

٥

قوة الحب

وطفقت سوزان تتوسل الى عمتها ، وقد احمرت عيناها وهطلت منهما الدموع مدراراً وارتمت على مقعد كبير متهالكة

— عمتاه ! اود ان أطلّق ، الا تساعدينني — ... لقد هزأ بي ... بعد اعوام ثلاثة من زواجي

وتركتها مدام روشيه تفضي اليها بما يكنه قلبها من حزن وا كتئاب ، محتدة تارة ، ومنتحبة اخرى دون ان تقاطعها . ثم اخذتها بين ذراعيها كما كانت تفعل فيما مضى عند ما كانت لا تزال طفلة صغيرة في اول عمرها

ومزّقت حجب الصمت والسكون لما ادركت ان جعبة ابنة شقيقها المتوفى قد فرغت من تلك الكلمات الشديدة التي تعبر عن ألم وغضب عظيمين قائلة :

— فكري في الامر يا بنيتي ، فكري جيداً ، الا تشعرين بخطورة ما انتِ مقدمة عليه ؟ ثقي انك لا تعدمين فرصة لاصلاح ما فات

فانتفضت سوزان ، واخذت تنظر الى عمتها العجوز دهشة ذاهلة . وقالت :

— اهذا انت يا عمتي ، اهذا انت التي تقول لي ذلك ؟

— اجل — وهل في وسعي ان انسى ؟ .. اتظنين ؟

— ان تنسي ؟ اواه ! الا يستحيل عليك ذلك

— اذن ؟ اصفح !

— ربما

فتلفظت سوزان عند ذاك محتدة :

ـ انما ، لم يسبق لك ان عانيتِ ما عانيت

ولكنها لم تلبث ان ندمت موأنبة نفسها على تلك اللهجة القاسية التي كلمت عمتها بها . فقالت :

— عمتاه ! اسألك العفو ، فان المي لجسيم ! وقد اردت ان اقول بانك لن تستطيعي تصوُّر تلك الآلام التي تقاسيها المرأة عندما تطلع على خيانة زوجها ، فان صرح امالها ينهار ... ولا تعود تفكر الا في الطلاق

وبغتة انفجرت تبكي وتنتحب . ثم اخذت تردد متشنجة :

اود ان اطلّق ، اريد ، ومحال ان لا افعل !

اصغي اليّ ...

اوه ! كلا . كلا ياعمتاه ! اؤكد لك انك لا تعلمين ، وعدا ذلك ، فلو كان لزوجك خليلة ، اما كنتِ انفصلتِ عنه ؟

فطأطأت العجوز رأسها وخفضت بصرها واخذت شفتاها ترتعشان

فاكبت سوزان عليها واخذت يدها وهي تمعن النظر الى وجهها الجعد

عمتاه ! عمتاه !

عند ذاك رفعت العجوز رأسها وقد ظهر في عينيها الم وحزن قديمان . ثم لبثت برهة تسائل نفسها . هل تقدم على الاعتراف ام تمسك ؟ وقالت بعد

ان بحثت عن الكلمات التي تود ان تخاطبها بها :

اصغي اليّ يا ابنتي العزيزة ، فانا لئن حدثتك ، لئن افضيت اليك بسر انتِ الوحيدة التي ستعلمه فليس ذاك ولا ريب لابرهن لك اني عانيت اكثر مما عانيتِ انتِ . كلا بل لتفكري في الامر كما طلبت اليك . ان السعادة اناء قصيم سريع العطب . . . اعلم ذلك . الا ان في وسع المرأة ان تصلحه بتساهلها وصبرها وحبها وحلمها ، وقد هدتني الحياة الى ذلك

. . . . . .

وصمتت برهة . ثم عادت تقول ، وسوزان تصغي الى حديثها متعطشة :

. . . اخذ زوجي يخبرني في مساء كل يوم وقد انقضت على زواجنا الاعوام الطوال ، ان صاحب العمل يطلب اليه البقاء الى ساعة متأخرة من الليل ، ليساعده في ضبط الحساب ، ثم جاءني ذات مساء وهو يقول ان ترقيته متوقفة على رضائه بما يعرضه الرئيس عليه . وذلك ان لا يأتي للعشاء معنا ، ويظل الى الحادية عشرة ليلاً بضعة اسابيع

وكان المنزل موحشاً ، وكنتم اربعة حولي ، وكنت لا انفك اصارح زوجي بحزني الشديد لما يقاسي من تعب ونصب . ولكني لزمت الصمت اخيراً عندما طمأنني بان عمله غير مضن

ومرت الايام وهو لا يتناول طعام العشاء معنا مطلقاً ، ويعود في منتصف الليل ، وقد كنت انتظره في بعض الاحايين واقفة الى النافذة فكان يؤنبني ثم يحدثني عن اعماله ويريني الملفات التي قام بمطالعتها وضبطها

وانقضت الشهور وهو على حاله لم يتغير او يتبدل . فتطرق الشك الى

قلبي ، الا انه اجابني محتداً وبصوت خشن عندما سألته ، ثم ارتبك ، فتأكد لديَّ انه لا يصارحني بالحقيقة واعتزمت ان اعرف كل شيء

اوه ! كم كنت تعسة شقية ، تذرف عيناي المتورمتان الدموع السخينة في غير انقطاع وفي غير كلل ، وعلمت دون كبير عناء انه كان يقضي لياليه

فوثبت سوزان ، وعانقت عمتها « ريشيه » بشفقة وحنو . واستطردت هي قائلة

يجب ان اقول لك كل شيء ، فلربما ساعدك اعترافي هذا ، ورغب اليك تخليص سعادتك ، اجل لقد كان لزوجي خليلة ، مدموازيل فلاندان

— فلاندان ؟

— استاذتك ، فقد كان يتناول طعام العشاء كل مساء في منزلها ، ويظل هنالك حتى الحادية عشرة

— اذن ؟

— نعم لقد فعلت عندما تأكدت لدي خيانته كما تفعلين انت اليوم ، فبكيت ، وابتأست ، واسودت الدنيا في عيني ، واردت ان اطلق ، ولكنني فكَّرتُ وحيدة — اذ لم يكن لدي احد افضي اليه باسرار قلبي واطلب اليه ان يهديني الى سواء السبيل كما لك انتِ — فكرت طويلا ، ثم ازمعت على البقاء ، ولم ادعهما يشعران باطلاعي البتة

— لقد استطعت التسلط على نفسك ، عمتاه ، هل كانت لك هذه القوة

اجل ، وذلك دون ريب لاني كنت احبه ولا احب نفسي

وفي وسعي ان اقول اليوم بعجب وخيلاء وقد مرت على ذلك السنون الطويلة باني تمكنت من اعادته الى احضاني

وهل دام ذلك طويلاً ؟

اربعة اعوام · وانت الاولى والوحيدة التي عرفت هذا السر الذي صنته حتى عن زوجي عند ما عاد اليَّ تاركاً خليلته ، فلم افاتحه بكلمة واحدة · وقضى نحبه معتقداً اني اجهل ما كان منه

فارتمت سوزان على مقعدها جاعلة ذقنها بين راحتيها وقد شخص بصرها وتقلصت شفتاها · وقالت :

انت قديسة ياعمتاه ، انت بطلة ، اما انا فلست سوى امرأة لا حول لها ، وليس في وسعي ، بل لست اقوى على ما فعلتِ انتِ ، وقد انتهى كل شيء !

فقالت العجوز بتمهل وبطء :

لو كنتِ تحبينه . . .

فانثنت سوزان وكأنها قد تلقت ضربة شديدة في صدرها وتلعثمت ووجهها بين يديها :

عمتاه ! · · عمتاه ! · عمتاه ! · · لذا انا تعسة شقية ، اذ اني لا احبه الحب كله

٦

على القبر

.... اخذت تسير في الممرات الضيقة بين القبور المكللة صلبانها الخشبية والرخامية بذوائب شمس الخريف الفاترة ، وكان يوم زيارة الاموات قد فات ورأت المقبرة الاكاليل القديمة وطاقات الازاهير الذاوية التي لوحتها الشمس ونثرتها الرياح تستبدل بالازهار الناضرة المختلفة الاشكال المتباينة الالوان، والاوراق الخضراء من فاتحة وقاتمة ، ولم يكُ هناك غير بضعة قبور لم تمد نحوها يد رحيمة فتنثر عليها الزهور كما نثرت على سواها فكانت مهجورة منبوذة تثير الشفقة

مشت بتؤدة وهدوء وفي غير تردد فقد ألفت السير بين القبور واعتادت زيارة المقبرة بينا كان بعض الزوار يتوقفون هنا وهنا وعيونهم ما زالت حمراء ندية يلقون بأسئلتهم على حراس المقبرة و بعضهم يهيمون على وجوههم يبحثون عن رموس موتاهم في تلك المدينة الآهلة بالسكان المترعة بالاجداث

و كان على المقاعد الزرقاء بعض الكهول يتناومون آملين ان تدفئهم خيوط الشمس الفاترة وتعيد اليهم قواهم دون ان تخطر في بالهم ساعتهم الاخيرة التي تدنو منه ، دون ان يفكروا في الصندوق الضيق الذي سيحتويهم تحت تلك الارض الباردة المظلمة الموحشة ، والحفارون يمرّون وليس على وجوههم اي اثر للحزن والاكتئاب وهم يصفرون وعلى مناكبهم المعاول لا يحفلون بعالم الموت الذي يحيط بهم

وكانت في ميعة الصبا وعنفوان الشباب ذات وجه هادئ رقيق وعينين زرقاوين عميقتين ذرفتا الدموع السخينة اعواماً طوالاً، فتغضنت اطرافهما واحمرت احمراراً ابدياً، وكانت ترتدي ثوباً اسود بسيطاً وتحمل في يدها طوقاً يماثل تلك الاطواق التي كان يضعها اباؤنا في القديم في اعناق اطفالهم الصغار والتي نضعها اليوم على قبورهم

سارت على مهل نحو ذلك القبر الصغير الذي تزوره في كل يوم لا تلوي على شيء، حالمة بالماضي، الماضي السعيد

.....

لكم تمر الايام سراعاً !!

فقد مضى على انفصالها عن زوجها خمس سنوات ولكنها مضت كالحلم وتخيلت، وهي تمشي، عشهم الجميل حيث كانوا يعيشون في سعادة وغبطة هي وزوجها وطفلهما الاوحد، ولهما قلب واحد

ثم جاء الموت — الموت الاصمّ، الفاقد الرحمة، العديم الشفقة فاختطف ملاكهما من احضانهما غير مكترث لحزن الاب المذيب ويأس الأُم القاتل وحمل على جناحيه سعادتهما، وهناءهما وغبطتهما

ومرت الايام، فذهب عن الاب بعض ما به، وأنسته اعماله ما كان يقاسيه من ألم لفقد وحيده ولم يعد له ذلك الوجه الحزين المكتئب واخذ يبسم في بعض الاحايين

ولكن الامّ !

الام المهمومة الباحثة عن الوحدة الغارقة في اليأس لم تكن لتغتفر لزوجها ذلك واطلقت عليه اسم «الرجل العديم العاطفة»

لم تقرّعهُ ولم تعنفهُ الا انها لم تعد تحفل به او تكترث لوجوده ، وعند ما كان يحدّثها بحديث ذي شان كانت تنظر اليه ببرود دون ان تفوه ببنت شفة وعند ما كان يضمها الى صدره ليعزيها و ينسيها همها كان يجدها تمثالاً رخامياً لا يمس ولا يشعر

ولم يكن لهما اب او ام ، لم يكن لهما صديق حميم يعزيهما في مصابهما ويهوّن عليهما شقاءهما فتسممت حياتهما وغدت لا تطاق ، فانفصلا ، ولو كان طفلهما على قيد الحياة لضمهما بذراعيه ولما تركهما يفترقان

رحل هو الى بلاد نائية يتعاطى التجارة التي كان يتعاطاها في مسقط رأسه . اما هي فغرقت في بحر خضم من الحزن واليأس . واعتزمت الحياة بالقرب من الميت محاولة ان تنسى الحي ، ولم يلتقيا منذ ذلك الحين

مشت في تلك الممرات الضيقة وهي تفكر في حياتها المملة التاعسة بمرارة ! وتصورت نفسها تشيخ وحيدة لا تجد صدراً تسند رأسها اليه ولا حبيباً يطبق عينيها بيديه ، تصورت كيف انها ستظل طول حياتها دون رفيق او قريب الى ان يريحها الموت فطفرت الدموع من عينيها

ولم تكن لتجد عزاءً الا في زيارتها اليومية لفلذة كبدها المسكين الراقد تحت الثرى البارد

لقد كان في وسعهما ان يتعزيا معاً ، كان في وسعهما ان يستعيدا سعادتهما فهما شابان يبسم لهما المستقبل ولو استندا الى بعضهما وامسك كلٌ بيد رفيقه لعادا الى حياة السرور والغبطة التي كانا يتمتعان بها ولجفّت عبراتهما الحارة التي غضنت جفونهما

ولكن لماذا جرح عاطفتها ، لماذا نسي سريعاً شقاءها ، لماذا هجر زوجته

المبتئسة وطفله الميت ؟

ولما وصلت الى هذا التساؤل اجابها صوت صدر من قرارة نفسها « ولماذا كنتِ قاسية ، لماذا قضيتِ على حبه ، لماذا افقدتهِ صبره ، لماذا لم تتركيه يعزيكِ ويتعزى »

ورأت امرأة تترك ذراع زوجها وخلفهما الوصيفة تحمل طفلاً وتتقدم من قبر صغير ابيض وتضع على رخامته اكليلاً من الزهر كتب على بطاقة تتدلى منه كلمة ظاهرة جلية :

« من بول الصغير الى شقيقهِ البكر الراحل هنري »

فكانت كلمات هذا الصغير الهابط من السماء الى اخيه المرتفع اليه مؤثرة تثير كوامن النفس ، ففرت وهي تغمغم قائلة « لو انتظرنا قليلاً لكان لنا في الطفل الثاني بعض العزاء »

. . . . .

كان قبر الطفل العزيز بين قبرين في مؤخرة المقبرة . قبر طفل صغير وقبر عجوز طاعنة .. فكان والدا الطفل يجيئان لزيارته كثيراً ، وذراع الام في ذراع الاب وعلى وجهيهما امائر الحزن والاسى كما كانت تفعل وزوجها في ما مضى ، وكان ابناء العجوز واحفادها يزورونها وينثرون على قبرها الزهور ويذرفون الدموع ، وكان يصحبهم في بعض الاحايين شيخ متهدم يستند الى اذرعهم ليحيي رفيقة حياته قبل ان يذهب لملاقاتها في العالم الآخر

وهي ، هي ، من سيجيء للصلاة من اجلها ومن اجل ابنها عند ما تجتمع به اجتماعاً ابدياً

وبلغت القبر ، فكان كطاقة من الزهر ، وقد كتب على رخامته :

« جان موريس ليفيل »

قضى في الرابعة من عمره

تقدمت من القبر مطأطئة الرأس ، خافضة البصر ، غارقة في افكارها المريرة ، وما ان رفعت بصرها حتى توقفت دهشة ذاهلة

فقد كان امام قبر ابنها رجل اثقلت كاهله الايام السوداء ، يدفن وجهه في راحتيه ، وعلى مقربة منه باقة ازاهير ناضرة

اخذ قلبها يخفق خفقاناً شديداً ولم تجروء على التقدم

فمن يزور قبر الفقيد الصغير غير زوجها ، لقد مرت عليها اعوام واعوام وهي لا تراه ، وها هي قد التقت به اخيراً

وظلت برهة صامتة لا تاتي بحركة ، شاعرة بسرور وغبطة زائدين لوجوده بقربها

ودار نحوها ، فارادت ان تفر هاربة ، ولكنها لم تستطع ، فدنا منها وحياها بوقار ، ثم قال :

اسالك صفحاً يا جانين ، فما كنت ادري باني سالتقي بكِ هنا ، فقد قدمت بالامس واسرعت بالمجيء لزيارة صغيرنا جان، فهل لا زلتِ كما تركتك

وكان يوجه اليها الفينة بعد الفينة نظرة طويلة وهو يحدثها بكلمات رقيقة . كان يوجه اليها نظرة من نظراته القديمة المليئة بالحب والعاطفة ، واخذت هي تنظر اليه دون ان تنبس ببنت شفة

لكم تغيرت هيئته وتبدلت ، فقد تركت الهموم والمتاعب اثراً على وجهه لا يمحى ، فغضنت جبينه ، واذوت نضارة شبابه

وقطع حبل الصمت قائلاً : اتريدين ان انصرف يا جانين ؟

فطأطأت راسها وقالت : — كلا ، ابقَ ، فانا سعيدة برؤيتك ، وهي المرة الاولى — فقاطعها ببساطة قائلاً : لم ارَ باريس منذ ان تركتكِ ياجانين فان مرضي اشديد ، وصحتي في تاخر مستمر

فمرتها رعشة شديدة اذ تخيلت ما قاساه من الآلام الجسام بعيداً عنها . هو ، — الذي احبته الحب كله ، هو ، والد صغيرها المسكين جان

وعاد يقول : ثمي ان مرضي الذي يشتد عليَّ من هواء تلك البلدة الفاسد التي قضيت فيها الاعوام الخمسة ، هو الذي ارغمني على المجيء ، ولولا ذلك لما رأيتني مدى الحياة — فقالت وقد اخذتها الشفقة عليه — ولمَ لم تخبرني

لماذا اخبركِ ؟ — ونظرا الى بعضهما طويلاً صامتين ، فارادت جانين ان تخفي اضطرابها فأكبت تجمع الزهور المنثورة

ولما نهضت رأت عيني موريس محدقة اليها في حزن ويأس فتأثرت ومدت اليه يدها فقال : هل ذهبت تلك الاعوام الطويلة ببعض بغضك لي

كيف تستطيع التحدث عن البغضاء امام ذلك الذي احببناه اشد حب

فضغط على يدها وهو يقول :

اصغي اليَّ يا جانين ، فانا قد اخطأت نحوكِ ، وما فتئت الافكار السوداء تعاودني خلال السنوات الخمس التي قضيتها بعيداً عنكِ ، فان حب الأم لايعادله حب في عظمته وطهارته وقدسيته، وقد كنت مخطئاً في ابلامكِ وفي تضجري من حزنك ويأسك ، فاغفري لي واصفحي عني وعودي الى احضاني بحق حبنا الاول فنحيا حياة سعيدة ونجيء معاً للصلاة من اجل ابننا فيرانا فبره قلباً لقلب كما كان يرانا فيما مضى ... قولي ... اتريدين ؟

فلم تجب -- والصقت جبهتها بصدر زوجها واخذت تبكي

٧

الرق الصامت

لا ادري ما يقال عن البواعث التي دفعتني للزواج من الكونت اوغاريف تشيركانوف . والحقيقة اني لم ارضَ به الا لاسمه الكبير وثروته العظيمة ولاتخلص من حياة الوحدة المضجرة المملة

وهل ترتضي فتاة جميلة متكبرة تعبد الحلى والتبرج والزينة وتحلم باتباع اهواء نفسها الوفيرة بان تتزوج الا من رجل ذي ثروة طائلة ؟ ، ولم اجد سوى الكونت العجوز فقبلت به دون ان اشعر باية عاطفة نحوه

وقد اقمنا بعد اسفار طويلة استغرقت ستة شهور في قصرنا في بريتون . واخذ تشيركانوف هناك يظهر لي اعجابه وحبه وافتتانه برزانة ووقار زائدين نظراً للبون الشاسع بين سنينا .. ولم يعتد ان يتبعني في نزهاتي وزياراتي فكنت اطفيء الشعلة المضطرمة بين جوانحي بالطواف حول الغابات والتجوال في القفار

وكان يصحبني خادم شاب جئنا به من « اكرين » يدعى بوشكا . وهو دميم الخلقة متين العضل اسمر اللون يطيعني طاعة عمياء ويرضخ صاغراً لكل اوامري ، وفي الحقيقة كان رقيقاً اميناً متفانياً

وكنت قليلاً ما اوجه اليه نظري ولا اكلمه مطلقاً بل اصدر اليه امري بالاشارة ، فما ان يرى مهمازي يشير الى مكان ما الا ويعتلي صهوة جواده

وبندفع نحو الوادي او يقطع الحواجز الشائكة ، ولست ادري لماذا كلفه تشير كانوف بملازمتي

ولم اكن اشكره على ما يعمله من اجلي فهو يخدم الكونت ويقوم بواجب لا مناص له من القيام به

وكان الكونت شديد الميل لحياة اللهو والمرح بل كلفاً بها فكان يدعو اصحاب القصور المجاورة وضباط المراكز وبعض الاصدقاء والمعارف الى القصر ، وكان جلهم يتملقونني وينظرون اليّ نظرات اعجاب وافتتان ، فكنت ارتبك وبضيق تنفسي في بعض الاحايين واتخيل اشياء جنونية فتنتابني رعدة الحالم الذي يرى لجة فاغرة فاها لابتلاعه . ولكن نظرات زوجي الهادئة وتجوالي على ظهر جوادي في الهواء الطلق كانا يعيدان اليّ صوابي ويذهبان ببعض ما بي

وكان بين هولاء الاصدقاء ملازم شاب يدعى فرنسيس توران تقرأ في عينيه الصفاء والسكينة وترتسم على وجهه آية الحب والرغبة فكنت اشعر بدوار شديد يعتريني كلما ضغط على يدي مصافحاً واقول في نفسي ذاهلة « انه يريدني » فارى فراغاً قاتماً يكتنفني

اظهرت له في اول الامر بروداً وازدراء فلم يوثرا فيه متظاهراً بانه لا يقدم على ذلك بمحض ارادته بل هي غريزة متأصلة في نفسه فاعتراني فتور وتهاون وخوف شديد من النضال واحسست برغائب شاردة

ورأيته قادماً في احد الاصباح فلم اشاء الالتقاء به . وناديت يوشكا فاسرج الجوادين وسرنا نحو الغابات ببطء ولم يلبث السأم والملل ان استوليا عليّ فارخيت لجوادي العنان وتركته يتلهى بالتهام اوراق الاشجار المتساقطة

في تلك المسالك الضائعة واخذت التفت نحو بوشكا واحدق في عينيه · · ترى هل يشعر بقلقي واضطرابي ؟ هل يلحظ عليّ شيئاً ؟

ولكن ما هذا الجنون ؟ اتخيفني نظرات هذا الرقيق الصامت المضطربة وانا ربة القصر والسيدة المطلقة

. . . . . .

والفيت في مساء ذات يوم وقد كان زوجي الكونت غائباً رسالة على مكتبي كتب على غلافها بخط اجهله جهلاً تاماً فصحت دون ما تفكير قائلة : « توران »

وقد اصبت في حدسي · فقد كانت منه · · ولم يتضرع اليّ فيها او يتوسل بل يأمرني امراً ان اوافيه في فجر اليوم التالي الى اعماق غاب « تيره » عند صليب سانسرنا

فضربت بالرسالة عرض الحائط وانا اضحك ضحكاً جنونياً ، ولكنّ ضحكي لم يلبث ان اخافني واقلقني

وظللت اتقلب في فراشي مفكرة في ذلك الارعن دون ان يغمض لي جفن حتى مطلع الفجر

وطلبت الى بوشكا ان يعدّ لي جوادي ولست ادري ما هذا الدافع القوي الخفيّ الفجائي الذي كان يدفعني لموافاته

ولكم كان غضبي شديداً عندما رأيت بوشكا ، وانا اهبط مدارج السلم الخارجي وقد امسك بزماميّ الجوادين · فصحت فيه اقول :

لا اود ان اصحبك اليوم · اسامع انت ؟ وسأذهب وحيدة

فلم يدرك ما اقول او انه لم يرد ان يدرك وقفز على ظهر جواده ، بعد ان

امسك لي بالركاب فرأيت ان من الجنون مقاومته تحت نوافذ القصر وعلى مسمع من الخدم فهمزت الجواد ووجهتي الغاب وما ان بلغته حتى اشرت بهمازي المرتجف نحو القصر وصحت :

عد ! — ولا ريب انه سمع ما اقول ولكنه لبث مطأطىء الرأس لا ينبس ببنت شفة ولا يأتي بحركة . لم اشأ الظهور امامه بمظهر المرتابة بطاعته ورضوخه فاطلقت لجوادي العنان مواصلة سيري

وطرقتْ اذنيَّ بعد قليل وقع حوافر جواده فكاد قلبي يقفز من مكانه غضباً وغيظاً واضطرمت وجنتاي ناراً فدرت بجوادي وصحت فيه بصوت هائل مريع اقول : -- عد! .. عد ! ...

فاستحال لونه وشاعت نظراته ولمعت عيناه فاشفقت عليه ولكنَّ عناده للمرة الثانية قد اثر فيَّ تأثيراً شديداً فجنَّ جنوني ، ولحظ هو ذلك فادار جواده ببطء . ثم انطلق بيأس وقنوط

فدفعت بجوادي الى الامام واعصابي ترتعد ، وقد ارتسمت على وجهي امارات الازدراء والاحتقار

واخذ الطريق يضيق شيئاً فشيئاً الى ان غدا ممراً حرجاً بين الصخور

ورأيت على بعد مئة خطوة من الفرجة التي يرى منها الصليب رجلاً يقف مفتوح الذراعين نخلته في اول الامر « توران » وقد اتى لاستقبالي ، الا اني ما ان انعمت بالنظر اليه حتى عرفته فقد كان يوشكا

اجل كان يوشكا بعينه وقد سبقني عن طريق اخر

ودنوت منه بجوادي فاذا هو شاحب الوجه خاشع الطرْف يتساقط أيناً واعياء فأثملني الغضب الجنون فرحت اغلظ له في القول ساخطة مغضبة . ثم

دفعت بجوادى مزمعة ان امرّ على جثته فاحطمها ولكنه اوقفه ممسكاً بزمامه

عند ذاك ثار ثائري وفقدت رشادي وغدوت كحيوان هيج هائجه ورفعت المهماز وضربته على وجهه بكل ما اعطاني غضبي وحنقي من قوة فرفع راسه ومد وجهه لضربات مهمازي كالمحموم يمد جبينه الملتهب للمياه الباردة

ولم انقطع عن ضربه وهو سائل الدم مرتعد الجسم لا ياتي بحركة

وفتح عينيه وكان يغشاها غشاء من الدماء المتفجرة ونظر الىّ نظرة العاتب المبكّت، المسترحم

فدرت بجوادي وفررت هاربة وقد اضطربت حواسي واستطير لبي

. . . . .

ولزمت حجرتي في ذلك اليوم لا افارقها وانا ابكي بكاء مراً دافنة وجهي في راحتيّ غارقة في بحر خضمّ من الخجل . . . ولم اذكر صليب سانسرنان . والصخور ، والملازم ، لم اذكر سوى تلك النظرة المسترحمة والدماء المتفجرة لم اذكر سوى الخادم المسكين ، ذلك الذي كان في وسعه ان يلقيني عن جوادي بضربة واحدة من يده الحديدية ، ولكنه لم يفعل وترك مهماز امرأة ضعيفة يمزقه في سبيل شرف سيده

وصعدت الى حجرته في المساء مشعثة الشعر وجثوت بالقرب من سريره المرتجف وعيناي تسبلان الدموع الحارة في هدوء وفي سكون ، . . . وادركت -- ادركت ان ذكرى وجهه الدامي ، ونظرته الهادئة المسترحمة لن يعفو اثرها عن ذاكرتي ما حييت

وها هي عشرة شهور قد انقضت وهو لا ياتي حراكاً ولا يستطيع ان يلمس وجهه

المريض المدهش

معرَّبة بقلم المرحوم الاستاذ نجيب نصار

كان في بطرسبورج عاصمة الروس طبيب يدعى سرجيوس مانالوف يحب عمل الخير والاحسان صارف معظم وقته في معالجة الفقراء والمساكين لقاء اجرة زهيدة يتقاضاها منهم وهي لا تكاد تقوم بنفقته فلذلك مضى عليه ردَح من الزمان وهو لم يدخر له شيئاً مذكوراً يعتمد عليه فيما لو غالت المصائب بده يوماً ما عن الشغل والعمل. وكان كل من عرفه في صغره يرجو له مستقبلاً باهراً لوفرة ذكائه ومهارته وتفوقه على رفاقه في المدرسة ولكن كذبت احلامهم وخابت امانيهم وهي الايام الغدارة تفعل ما تشاء

على ان سرجيوس هذا كان قنوعاً مرتضياً بحالته مع ما كان عليه من ضيق الحال وكان اسمه منتشراً بين فقراء المدينة فقط لا يعرفه احدٌ من الطبقة الموسرة وبعد شغل اربع سنوات تزوج من فتاة احبته حباً شديداً وتحملت معه شظف العيش ورزقهما الله صبياً خفف من حالهما نوعاً فصرفا ذهنيهما الى تربيته وتثقيفه ولم يكن ينغص عيشهما سوى فقرهما الشديد

وكان الدكتور يجري اعمالاً دقيقة لا تصدر الا عن رجلٍ متضلع من الطب والجراحة الا انه لا يعرف بها احدٌ الا الفقراء وكثيراً ما كانت امرأته تقول له بين التنهدات والتبسمات لو كانت اعمالك بين الاغنياء لكنت الان ذا ثروة طائلة وغنى وافرٍ وطالما انت مقيمٌ في هذا المكان صارف قواك الى معالجة الفقراء فستظل على هذه الحالة الى ما شاء الله

ولكنه كان يجيبها بقوله انه يجب ان نكون دائماً مسرورين لان الله

اوجدنا في هذا المكان لنخدم الفقراء والمساكين فالغني يمكنه بواسطة دراهمه ان يدعو من اراد من الاطباء ولكن الفقير الى من يذهب ؟ فالله هو الذي يساعدنا وينظر الى احتياجاتنا. واعلمي ان حياة الانسان لا تتوقف على ما عنده من الاموال بل على نوع خدمته لبني جنسه والتخفيف من ويلاتهم ومساعدتهم ماديًا وادبيًا

في ليلة من ليالي الشتاء القارسة البرد والشديدة العواصف كان سرجيوس نائمًا واذ قرع بابه نهض حالاً واذا برجل يدعوه لعيادة مريض له فارتدى للحال ثيابه وهمَّ بالخروج الاَّ ان امرأته وقفت في سبيله وقالت له لن تغادر البيت في هذه الليلة خصوصًا وانت الان منهوك القوى من كثرة شغلك في النهار الفائت ولكنه قال لها انه يجب عليَّ ان اذهب حالاً لانه قد يكون المريض في حالة الخطر واذا بقيت الى الصباح فلربما يتعذر عليَّ شفاؤه فاكون مخالفًا لكلام الله مستحقًا عقابه الشديد قال هذا وترك البيت واستأجر عربة لان السرعة واجبة خوفًا من ان يطرأ على المريض شيءٌ يغير من حالته ولكنه صمم على الرجوع ماشيًا اذ لا مانع من وصوله الى البيت متأخرًا

وظلت العربة سائرة به حتى وصل الى بيت المريض فوجده نظيفًا مفروشًا بكل بساطة ورأى رجلاً نائمًا في سرير وقد علا المشيب رأسه وتوردت وجنتاه من الحمى الشديدة فحياه سرجيوس وسأله عن مرضه بالتفصيل ووصف له علاجًا واستعمل له بعض الوسائط وهم بالانصراف ولكن المريض طلب اليه ان يبقى معه ساعة لعله بها يخفف من كربه ولكثرة حنو سرجيوس اجاب طلبه واقام معه ساعة صرفها في تسلية مريضه ودار الحديث بينهما على تاريخ بعض الرجال العظام وبعض المسائل العلمية فظهر منها ان

المريض كان على جانب عظيم من العلم والادب

ولما انتهى الوقت ناول المريض الطبيب خمس ليرات انكليزية وطلب اليه ان يعوده كل يوم فاجاب الطبيب طلبه وداوم عياداته له حتى شفي تماماً

وفي اثناء هذه المدة توثقت عرى الصداقة بينهما حتى كان يبوح الواحد للآخر بمكنون قلبه · وفي ذات يوم طلب الطبيب من صديقه ان يخبره شيئاً عن تاريخ حياته لعله يخفف نوعاً ما من حيرته واندهاشه اذ لا بد من سر عظيم يحيط برجل غني نظيره يعيش عيشة الفقراء والمحتاجين

فاجاب افان بتروفتش طلبه واخذ في سرد قصته فقال

وُجدت في هذه الدنيا فقيراً وعشت مع والدي في بيت حقير كهذا وكنا محاطين بالفقراء والمساكين كما تراني الان ولا فرق بيننا وبينهم الا ان والدي كان متعلماً متهذباً فعلمني واعتنى بتربيتي وبتهذيبي وحدث اذ كنت صغيراً ان احد اقاربنا توفي فورث والدي مبلغاً كبيراً من المال فانشأ محلاً تجارياً كبيراً فساعدتنا الظروف والاحوال ولم تمضِ مدة قصيرة حتى اصبحنا من الموسرين العظام فتزوجت من فتاة كانت عزيزة عليّ وكنت احبها محبة شديدة ولكن الايام عاكستني فتوفي والدي وامرأتي · واصبحت وحيداً في هذه الدنيا كئيباً حزيناً لا سلوى لي وما هي الدنيا والاموال اذا كان لا اهل للانسان ولا والدين ولا من يحبه محبة حقيقية · وبعد مدة قصيرة اخذت الرسائل ترد اليّ تباعاً من الجمعيات الخيرية والفقراء والمحتاجين تطلب مني المساعدة فمددت يدي بسخاء وكنت اساعد في كل مشروع خيري يعود بالنفع على بلادي ووطني الاّ انه اخيراً تبين لي ان الاشخاص الذين كنت اساعدهم لم يكونوا الا خداعين اخذوا دراهمي فانفقوها على مقصد سافل وغرض

دني ، فحزنت جداً وقلت ان الاختبار قد علمني الان فانه لا يمكنني ان اساعد الفقراء ما لم اعش عيشتهم فصممت على ترك محل اقامتي متخفياً وقصدت بطرسبورج واخترت السكنى في هذا المكان كما تراني وساعدت هؤلاء و كنت امدهم بالمال و بالنصائح وكل ما اقدر عليه فشعرت براحة كلية وسرور عظيم . وكنت دائماً اسمع منهم الثناء المتواصل عليك فقلت لا بد لي من مساعدة هذا الرجل وعليَّ الان ان اني دَين هؤلاء المساكين فاستقدمتك تلك الليلة ووفيتك جزءاً يسيراً من الدين الذي لك على هذه الطبقة المتالمة واني اشكر الله الذي ارسلك لي كصديق مخلص حنون اعتمد عليه وار كن اليه

فتاثر الطبيب من كلام صديقه وتساقطت الدموع من عينيه وازدادت محبته له وتعلقه به وكانا يتزاوران مدة ثلاث سنين حتى اصاب بتروفيتش مرض عضال لم تنجح فيه براعة الطبيب وقبل ان يفارق الحياة اوصى بكل ما يملكه لصديقه ولكن هذا قال له اني لست بمنفق بارة واحدة الا في سبيل الخير والاحسان كما كان غرضك وهكذا كان فان الطبيب تمم ذلك بكل امانة ونشاط

حلمة تلمودية

جاء في تقاليد التلمود ان الاسكندر خرج وحده من معسكره يقصد النزهة وابعد في البرِ فانتهى الى قفر لا ظل به ولا نسيم تسمع فيه نأمة انسان ولا حيوان

وفيما هو سائر اذ اشرف على جدول صاف يطرد ماؤه بين تلك السباسب وقد اخضلّ العشب على جانبيه وتقلصت عن مياهه اذيال الريح · فتجلى وجهه كصفحة المرآة ترتسم فيها صورة الطلاقة والسكينة · وكأنها تناجيه بلسان حالها تشير الى ما في تلك العزلة من الدّعة والسلام · وتدعوه الى اغتنام حظٍّ مما جادت به الطبيعة على ذويها

ولكن اين هذا من نفس الاسكندر الذي قد ملئ صدره بالمطامع وحب الفتوح · اعتاد سمعهُ قعقعة الاسلحة وانين القتلى فلم يلوِ على شيء من ذلك · ولبث سائراً حتى بلغ منه الجهد والعطش · فجلس على شاطىء الجدول وتناول قليلاً من مائه فاذا هو بارد لذيذ الطعم واستنشى (شمَّ) منه شذاً طيباً فقال لا شك ان هذا الماء يجري من بلدٍ اهله في خير جزيل وعيش واسع فلا بد لي من قصد هذا البلد

ثم نهض فتتبع مجرى النهر فاذا به قد دُفع الى ابواب الفردوس · وكانت الابواب مغلقة فقرع يريد الدخول فاجابه مجيب من الداخل انك لن تقبل هنا فان هذا باب الرب

فقال لكن انا الرب ربُّ الارض ، انا الاسكندر الفاتح ، قال لا

نعرف هنا فاتحاً الاَّ الذي يملك هواه ولا يدخل هذا المكان الا الابرار

فحاول الاسكندر ان يدخل عنوةً فلم يجد الى ذلك سبيلاً . ولما لم يفلح لا بالمواعيد ولا بالتهديد عاد فكلم حارس الفردوس وقال له تعلم اني ملك عظيم تعنو لي الامم باسرها فان لم تأذن لي بالدخول فلا اقل من ان تعطيني ما يشعر لي باني قد اتيت هذا المكان الذي لم يبلغه احد قبلي

فنبذ اليه شيئاً ملفوفاً وقال دونك هذا ولا تكشفه الا متى بلغت مخيمك فاذا نظرت اليه افادك حكمةً تربي على كل ما استفدته من مدرسيك الى اليوم

فتناول الاسكندر تلك العطية بشغف عظيم وانقلب الى مضربه وما كاد يطمئن به مجلسه حتى حل تلك اللفافة واخذ يتامل ما فيها فاذا هو قطعة من عظم جمجمة

فاخذها بيده وقال اهذه هي التحفة الفاخرة التي تهدى الى الملوك والابطال . وهذي ثمرة القراع الطويل والاقدام على العظائم وهاج به هائج الحنق فرمى بتلك القطعة بعيداً

فقال له احد حكمائه لا يحقرنَّ الملك هذه العطية مهما ظهرت مهينة في عينيه فانها قد انفردت بمزية يتحققها اذا وزنها بالذهب والفضة

فقال الملك وما عسى ان تكون هذه المزية . ثم امر ان توزن كما قال . فوضعت قطعة الجمجمة في كفة من الميزان . ووُضع في الأُخرى ذهب . فرجحت تلك القطعة على الذهب فزادوا مقداره ولكنه ما زال خفيفاً . بل كل ما زادوه ازدادت كفته ارتفاعاً

فقال الاسكندر يا للعجب . أمثل هذه القطعة الصغيرة من العظم ترجح على كل هذا المقدار من الذهب . اذن ليس في الارض مادة توازنها . فقال

الحكيم ولكنّ هناك مادة بقليل منها ترتفع · ثم اخذ قبصةً من التراب وغطاها بها · فارتفعت كفتها للحال

فصاح الاسكندر ان هذا من غريب الامور فهل لك ان تكشف لي عن سريرة هذا الامر · فقال الحكيم ايها الملك العظيم ان هذه القطعة من الجمجمة هي التي تكون فيها عين الانسان · فلا الذهب ولا الفضة ولا شيء من كنوز الارض ونفائسها يقنعها · ولكن متى نزلت الرمس وغشيها التراب كان هناك حدٌ لمطامعها الواسعة فكبر هذا الامر لدى الملك ورجع عن جميع فتوحاته (الضياء)

كيف انتقى بوذا عدوه

ولما بلغ سدراتا «وهو اسم بوذا اولاً» سنته الثامنة عشرة بنى له ابوه قصراً فخماً تحيط به الجنائن الغناء · وتنساب فيها المياه الصافية كانسياب الافاعي وتنبت فيها الازهار العطرة ، واقام في خدمته فتياناً وفتيات يقارنونه سناً · ويقاربونه ظرفاً وجمالاً ودعا الملك الى مجلسه كبار رجاله وقال :

كلكم تعلمون ان نفسي معلقة بهذا الصبي ، وتذكرون ما قال عنه الحكماء ، انه سينصرف الى انقاذ البشرية لانه من العلاء ، وعليه صفات اهل السماء ، ولست اطيق عنه بعداً ، فهل لكم رأي ترتأونه مما يوجب بقاء ولي عهد ملككم في قصر والده يحكم عليكم بعد موتي ؛ فانكم ترون نفسه ابداً تحن الى العزلة والانفراد كانها اليفة الزهد وكأنها لا ترى في عظمة الملك ما

يحبيه اليه وقد بنيت له القصر الفخم واحطته بجميع ما في لدينا من زخرف ونفس الامير لم تزل جانحة الى العزلة والزهد

فقال حكيم من حكمائهم : — ايها الملك

لا ينفي جنوح الامير الى العزلة والزهد من قلبه سوى حب النساء . فلينتقِ الملك لولي عهده فتاة من بنات الملوك ففي عيون المرأة سحرٌ يزيل الكروب وبين شفتيها نفحات تنفي الهموم من القلوب ، وفي معاشرة النساء ما يجعل الارض سماء وفي حنوهنَّ ما يجعل الكدر صفاء والشقاء هناء وماذا يعلم قلب هذا الصغير من الحب ما دامت سهام العيون النجل لم تجد الى قلبه سبيلاً ولا وجدت موسيقى اصواتهن عن طريق اذنيه في قلبه مَقيلا

فقال الملك : ان نحن اخترنا جمالاً نعجب به فمن يكفل اعجاب الامير به

فقال احد الحاضرين : ليدعُ الملك كل ابنة جميلة في مملكته الواسعة الارجاء الى وليمة حافلة فتمر البنات صفاً صفاً بين يدي الامير فيجزل لهنَّ العطاء ويختار منهنَّ من تحلو في عينيه . وان ابى الاختيار فسيرى في تلك الوجوه ما يحمله على الاختيار مكرهاً عليه وما سلطان الحب بمن يستأذن الملوك والامراء في مد سيطرة على قلوبهم ، انما هو يأمر مطاعاً ويتولى غير هياب ولا وجل

فاعجب الراي الملك وعمل به فعين يوماً للوليمة قدمت فيه الملوك والامراء ومعهم بناتهم وكل جميلة في مملكة « صد هدانا » الواسعة الارجاء

وحان وقت الاستعراض فمر الجمال بصوره المختلفة وبين يدي سدراثا (اي بوذا) الهدايا النفيسة والنعم المتراكمة كالتلال . واخذ ينفق عن سعة ويبذل العطاء والبنات يمررنَ به وعلى وجوههنَّ حمرة من الخجل والحياء . وفي قلوبهنَّ اشتعال من الحب تثيره نسمات من الرجاء حتى فرغ ما كان بين يدي (سدراثا)

من التحف والهدايا الحسان ولم يبقَ في اخر الموكب الاَّ بنت ملك من الملوك العظام دنت منه ونظرت الى وجهه طرْفاً الى طرْف. وفي عينيها لمعان كأَن نجمة الصباح استعارت لمعانها منه وتحت العينين ابتسامة دلت الامير الى قلب الحب، وجيدٌ كأَنه جيد غزالة نافرة ادارته الى وجهة الخطر لترى كيف تتقيه وقامة لها ليون الزان ووجهٌ ينبثق عنه جمال يفتن رائيه — فتحرك في قلب (سدراثا) انعطاف دل عليه بريق في عينيه واعجاب ظهر في وجهه دون ان يشعر به او يسعى مختاراً اليه فقالت: ايها الامير — قد اتلفتَ نعمك هباتٍ للحسان ولم تذخر لي شيئاً فهل منك لي ما اذكر به وقوفي لديك. فقال: يا اختي — لكِ اكثر مما نالت رفيقاتك وخلع من عنقه قلادة من الالماس ووضعها على عنقها. وقابلت منه ابتسامتها ابتسامته (المهذب — شبل)

العاشق الابكم

جاء في اقاصيص الرومان ان رجلا توفي تاركاً زوجة وطفلاً رضيعاً. فبكت زوجته عليه كثيراً ولفرط حبها له اخذت على نفسها ألاَّ تقترن بغيره مصممة ان تصرف باقي حياتها مقيمة على ولائه فعكفت على تهذيب ابنها واشتغلت بيديها لتقوم بحاجاتها

وكانت العادة وقتئذٍ ان يسلم الانسان على مَن يراه في طريقه عرفه ام لا. فحدث ذات يوم ان احد قواد الفرنسيس وكان شاباً جميل الخلقة حسن البزة مرَّ تجاه بيتها فاحنى رأسه لها خشوعاً مسلماً عليها ولكنها لم تردَّ عليه السلام حتى ولم ترفع عينيها لتنظر الى قوامه، اما هو فنظر اليها ملياً فاعجب

حسنها وجمالها فمال اليها قلبه وحدّثته نفسه بالاقتران بها غير حاسب انّ دون ذلك صعوبات جمه. فكان يتردد من حين الى اخر حول بيتها علّهُ يصادف منها قلباً حنوناً فتقبله وتعده خيراً. الا انه كان كل ما اراد التقرب منها تنفر منه وتبتعد عنه الى ان غلبت عليه الهموم واخذ الضعف منه كل مأخذ فهجر الاصحاب والمتنزهات وقضى في بيته حزيناً كئيباً نادباً سوء حظه طالباً من ربه ان يفرج له كربته، وما زال على هذا المنوال حتى اصيب بمرض عضال انحلَ جسمه وذهب بنضارة حياته

وكان لهذا القائد صديق مخلص فعرض عليه الامر وطلب منه ان يصف له الدواء الناجع لحل هذه المعضلة فاهتم صاحبه واخذ يفتكر بايجاد وسيلة يلين بها قلب تلك السيدة لتعير صديقه اذناً صاغية. فرأى ان يغير بزّته ويدور حاملاً بضاعة يبيعها وما زال حتى اهتدى الى منزل فاتنة اب صاحبه. فاخذ ينادي باعلى صوته مسمياً الاشياء التي معه فخرجت اذ ذاك الى فناء المنزل لتشتري ما تبتغيه فلم يدعْ شيئاً الا وعرضه عليها وبعد ان فحصت كل مالديه طلبت منه تعيين القيم. فاجابها «ان كل ما اخذتِ فهو لكِ وكل ما تريدين اخذه فخذيه بدون ثمن» فاخذ منها العجب كل مأخذ لاظهار هذا الكرم واستفحصت عن السرّ في ذلك وبعد اخذٍ وردٍ قال لها (لي صاحب يريد ان يتكلم معكِ فارجوكِ السماح بذلك) فلم ترَ مانعاً من تلبية طلبه وعينت له ميعاداً ليحضر مع صديقه غير عالمة ان وراءَ الاكمة ما وراءها

فذهب الرجل وقص على صديقه ما جرى فسرّ بذلك وتيقن الخبر فتهيأ لمقابلتها وبقي يستنظر الساعة المعينة وهو على احرّ من الجمر يحسب الساعات قروناً والدقائق سنيناً

ولما ازفت الساعة المعينة توجه الى بيتها مستصحباً صاحبه فاستقبلته باكرام وبعد الحديث الطويل طلب منها ان تمنّ عليه بقبلة واحدة فرضيت مشترطة عليه ان يعدها بايفاء شرط لها . فقبل بذلك ولما نال متمناه قالت له (ان شرطي هذا هو ان لا تفتكر بي ولا تتكلم معي الى مدة ثلاث سنوات وان لم تفِ بما وعدت يضربك ملاك الله على لسانك وتصبح اخرس لا تقدر ان تبس ببنت شفة)

فلم تكد تنتهي من قولها حتى اعترته رجفة وخرج هائماً لا يعي ما قد عمل وما جلب على نفسه وذهب تواً الى منزله واخذ يفتكر في مصيره وما زال حتى توجهت افكاره الى مالكة قلبه وحالما ابتدأ يفتكر بها وبجمالها الفتان انحبس لسانه عن الكلام واصبح من ذلك الوقت ابكم

ومضى زمان واتى غيره فتعكر جوّ السياسة فشهرت فرنسا الحرب على اسبانيا وجرّدت اساطيلها وامرت جيوشها وقوّادها للسير الى ساحة الحرب فما كاد يذيع هذا المنشور بين الشعب حتى تحمس وابتدأت القوّاد تتطوع وتنظم الحملات الحربية ثم تسيرها الى ساحات الوغى وكان بين اولئك القواد هذا القائد الابكم . وهناك اشتد الوغى فبيعت ارواح الجنود بابخس القيم . وكانت عاقبة الحرب وخيمة على اسبانيا

وكان هذا القائد الابكم من جملة من احرزوا قصب السبق في ميدان الحرب واشتهروا بالمواقع الكبيرة . فاحبه الملك وانعم عليه بالاوسمة والرتب العالية حتى صار ثاني الملك . فعظم شأنه واتسعت دائرة سلطته فكان لذكر اسمه هول عظيم . ولكن مع كل هذا الارتفاع لم يزل ابكم يحار الملك في امره واشفق عليه فصدرت اوامره الى جميع الاطباء في كل انحاء المعمور بان

من يتمكن من شفاء هذا القائد ينعم عليه الملك بالانعامات العظيمة والاحسانات الكثيرة وكان من شروط الملك انه اذا عرض شخص نفسه لهذه المهمة ولم يقدر ان يقوم بها فله إما الموت او دفع جزاء نقدي قدره ٥٠٠ ليرة انكليزية فحاول كثيرٌ من الاطباء شفاء هذا القائد ولكنهم اخفقوا سعياً

فلما اتصل الخبر الى فاتنة لبهِ اسرعت نحو قصر الملك وعرضت نفسها للقيام بما أمر ولكن الملك اشفق على حياتها وامرها بالانصراف اما هي فاصرت على قولها . فضرب الملك موعداً لاجتماعها بالامير ولكنها شرطت عليه ان لا يكون احد حاضراً غيرها

فلما حظيت بلقائه وقعت على قدميها وبسطت ذراعيها اما هو فانحلت عقدة لسانه ولكنه تظاهر بالخرس . فخاطبته فلم يتكلم فاقبلت تلاطفه ولكنه لم يفه بكلمة فبكت باعلى صوتها مستغيثة طالبة منه الرحمة والصفح عما فات ولكنه لم يحرّك لسانه — ثم لما انتهى الامد المعين لاتمام هذه المهمة اتى الملك والقى عليه سؤالاً طالباً منه الاجابة فلما لم يجبه طلب منها ان تختار احد القصاصين إما دفع الجزاء او الموت — فترددت اولاً ولكنها اخيراً فضلت الموت على دفع الدراهم التي اقتصدتها من معيشتها اليومية لتبقيها لابنها الصغير الوحيد فلما سمع الامير اختيارها ولهجة كلامها فتح فاه واخبر حقيقة الامر امام الجمع الحاضر فسر الملك وانعم عليها بالمال الجزيل

ثم اقترن الامير بفتاة من الاسرة المالكة وطلب من محبوبته الاولى ان تدير دفة الاشغال والاعمال في بيته فرضيت بهذا وعاش بعدئذٍ سعيداً ذاكراً ايامه الماضية نادباً على ما فات ومتمتعاً برأى من ذاق العذاب الواناً من اجلها

(تعريب منسى حنوش)

خصلة الشعر الاشقر

في فصل الشتاء تتغطى ارض كندا بثوب من الثلج اللامع فتظهر الاشجار الباسقة يابسة بدون ورق والبحيرات تختفي تحت ثوب كثيف ابيض من الثلج والطبيعة ترقد من جراء عدم ظهور الشمس المختفية وراء الغيوم. وقلما مرت في الطريق زحافات الثلج التي تجرها الكلاب. وكانت البرية عابسة مظلمة وساكنة - ولكن داخل منزل الفلاح المثري روبير كانت الحياة باسمى مظاهرها والدفء والحرارة والنور. كان يوم ٢٥ كانون الاول والعائلة باكلها من اقارب واصدقاء ملتئمة تحتفل بتذكار عيد الميلاد. -- اوشك الطعام ان ينتهي فرجع الجميع الى ضحكهم ومرحهم وتراتيلهم وكل واحد يذكر الاخر بتذكارات الصبا فقالت كيتي احدى صديقات بنات الفلاح روبير :

يا حضرة العم روبير. قد يكون من الفضول سؤالي فهل تتكرم علي بالقول لمن هذه الخصلة الشقراء من الشعر المعلقة في الحائط. اتجهت انظار جميع الحضور اولاً اليها ثم الى الحائط موضع الشعر فجاوبها العم روبير قائلاً يا ابنتي ان سؤالك هذا ليس من الفضول فان خصلة الشعر هذه لها قصة شائقة واني اود ان اقصها على مسامعكم لولا اني سأشوش مجلسكم الطروب.

فصاح الجميع بصوت واحد رج انحاء الغرفة الواسعة كلا كلا ياعم روبير بل بالعكس سنتلذذ بسماعها فقال الفلاح الهرم بما انكم مصرون على سماعها فسأقصها عليكم ثم وضع غليونه الطويل على المنضدة وقال :

من مدة خمسين سنة عندما كنت صبياً لا اتجاوز السنين الخمس الاولى من حياة الطفولة كان لي شعر اشقر مجعد طويل مسترسل على كتفي وكانت والدتي ترفع رأسها عالياً امام نساء القرية جميعها ولم تكن ترضى بقصه وكان حامياً حصيناً لي يحميني من الشمس المحرقة في الصيف ومن برودة الطقس في فصل الشتاء

كان والدي فقيراً يمتهن التحطيب . وكان فصل الشتاء مفضلاً على جميع الفصول لانه يتطلب الدفء والحرارة فتروج مهنة التحطيب وفي هذا الفصل نذهب جميعنا الى كوخنا الشتوي في الاحراج كي يكون قريباً من والدي وكانت والدتي تعمل كل ما في وسعها لتحسين ذلك المنزل الحقير وكان الاثاث الوحيد سريرين من خشب وموقداً مشعلاً في الليل والنهار وهذا الذي كان يعطينا القوة والصبر على البرد القارس — كنا نقضي الشتاء باكمله في كوخنا لا نرى الا بعض الحطابين وعائلاتهم وصائدي الثعالب . وكان ينزل والدي الى القرية مرتين او ثلاثاً في فصل الشتاء ليشتري ما نحتاج اليه من الضروريات وعدا ذلك كله كان يقضي معظم نهاره منهمكاً في شغله الشاق ووالدتي في اشغال المنزل . — ولصغر سني لم اكن انفع لشيء الاّ للعب وكنت اقضي حياة سعيدة طوراً مع والدي في الغابة وطوراً مع امي في المنزل . وفي السنة التي وقعت فيها قصتي كان عيد الميلاد قد قرب وكان محتماً على والدي النزول الى القرية لشراء ما نحتاج اليه ولا سيما في هذا العيد فذكرته

والدتي باحضار هدية لها فاجابها والدي قائلاً هذا واجب عليَّ ياعزيزتي والابتسامة لا تفارق فاه

وفي يوم ٢٤ كانون الاول الذي يذهب بعد ظهره الى القرية صمم على انجاز عمله اولاً فتأهب في الساعة السادسة صباحاً للذهاب الى مكان عمله فاخذتُ في تقبيله راجياً منه ان يأخذني معه فقال لي تعالَ ياولدي هذا يعطيك نشاطاً . فذهبت بعد توديع والدتي ووضعت يدي الصغيرة الناعمة في يد والدي الخشنة وبعد مضي نصف ساعه من مسيرنا وصلنا الى المحطب واخذ في انجاز عمله الشاق اما انا فكنت اركض على الثلج تارةً اقترب من والدي وطوراً ابتعد منه وعندما اقترب منه ينهاني بكلام لطيف لانه كان لين العريكة يتكلم بلطف وحنان حتى كان جميع السكان يحلونه وكان يشتغل بحرارة وبقوة لا تعرف الملل صانعاً كل ما في وسعه لانجاز عمله قبل الظهر وبينما هو على عمله المستمر اذ بغصن قد وقع من شجرة باسقة وكان به عش عصافير فعند ما رأيت عش العصافير نسيت ما نهاني عنه فركضت الى الغصن كي التقط العش ولكن عندما اردت الابتعاد وفي يدي العش منعتني كثرة الاغصان فوقعت وكان وقوعي بجانب الموضع الذي يقطع فيه والدي الحطب وراسي على الارومة تماماً وكان قد رفع الفأس في الهواء ليهوي على الارومة فيقطع ماعليها ولم يكن قد رآني عندما وقعت فعندما اراد ان يهوي بالفأس رآني مسطحاً على الارض ورأسي على الارومة فهاله هذا المنظر الفظيع واراد ان يحول اتجاه الفأس الى جهة اخرى ولكن الامر قد قضي لان الفأس كانت ثقيلة وبنزولها زادت ثقلاً على ثقل ولكن ابي كان قوياً فجمع قوته كلها ونجح في تغيير جهة الفأس فوقعت الى جانب راسي فوقفت ضاحكاً فتلقاني والدي ووجهه ممتقع

من جراء الخوف والفزع اللذين انتاباه فارتميت بين ذراعيه وجعل يفحصني من راسي الى قدمي بيدين مرتجفتين وهو يكاد لا يصدق انه لم يقتلني وصاح وهو يبكي :

أ أنت سالم ياولداه . لست مجروحاً . ألا تتألم . فاجبته كلا يا ابتاه وعند ما اطمأنَّ باله من نحوي خر ساجداً وعيناه مغرورقتان بالدموع ، دموع الفرح ودموع الخوف وشكر الله على جميل صنعه ، وانا مع صغر سني لم افهم معنى تلك الدموع بل عملت كل ما في وسعي لتعزيته بوضع يديَّ الناعمتين على وجنتيه وتقبيله مراراً فقال لي هيا بنا يا ولدي لنذهب الى المنزل لانه من المستحيل ان اتمم اي عمل كان . وعند ما اراد اخذ الفأس نظر الى الارومة فوجد خصلة الشعر التي قطعتها الفأس فاخذها وغمرها بقبلاته ودموعه وحملني وركض الى المنزل كالمجنون فوضعني في حضن والدتي وقال لها يا مريم اشكري العناية الالهية كما شكرتها فلولاها لكنتِ بلا ولد وربما بلا زوج لاني لم اكن لاحتمل قتل ولدي فاجابته والدتي وقد استولت عليها الدهشة قتل ولدك ؟ ماذا تعني بذلك ، فقص عليها القصة بصوت تخنقه العبرات وتقطعه الزفرات وبعد ذلك اخذت تنهال عليَّ القبلات من كل حدب وصوب ثم اخذ يوبخني بكل لطافة على ما فرط مني ، وكان والداي في فرح لا يوصف فقررا اقامة العيد في القرية فذهبت معهما وقضينا بضعة ايام ثم عدنا الى كوخنا ، وعقب وصولنا تذكرت والدتي الهدية التي وعدها بها والدي وانستها اياها تلك الحادثة الاليمة ، فقالت لوالدي بصوت ملئه المعاتبة انسيت الهدية ؟ فقال والدي كلا يا ماري اني لم ارضَ ان اريكِ اياها الا بعد وصولنا للمنزل ، فاحضرها لها واخذت في فتحها بفرح لا يوصف وبشوق زائد وعند تمام فتحها رأت اطاراً يحوي الخصلة

الشقراء من شعري فعند وقوع نظرها على الاطار وما يحويه ارتمت على عنق والدي وقالت له ليس في الوجود ما يرضيني اكثر من هذه الخصلة الشقراء

وهذه قصتي واني كل ما اعيد ذكراها تغرورق عيناي بالدموع. وانصياعاً لامر والدي احتفظ بهذا الاطار واجلهُ واحترمهُ

ولاحظ ان الحضور اغرورقت اعينهم بالدموع فقال يجب علينا الا نحزن بل بالعكس، هذا هو يوم الفرح والسرور ثم استأنفوا ضحكهم ولعبهم يرفرف عليهم اطار الشعر الاشقر

الاسان عن مجلة الابكو الافرنسية (تعريب الياس صوفان)

الامير بايار الفرنساوي

ان الامير بايار الفرنساوي اظهر للعالم ما تبلغه سجية الشهامة بالاصغاء الى صوت الضمير، فانه نال شهرة امير بدون خوف ولا لوم، وقد عاش منذ اربع مئة سنة، وفي طفوليته وحداثته وصباه كان طبق مشتهى معلميه وارادتهم. وفي خدمة ملكه قاد حملة على احدى بلدان ايطاليا ودوّخها لكنه جرح جرحاً بليغاً فقال «ان المدينة أُخذت لكنني لم ادخلها لان جرحي مميت» على انه لم يكن ليموت حينئذٍ، فبعد الغلبة رُفع من بين الجرحى وحمل الى اقرب مسكن، وكان رب هذا البيت قد هرب مع بقية المدافعين عن البلد وبقي في البيت زوجته وابنتاه، وفي تلك الايام كان امراً مخيفاً ان تترك النساء لرحمة الغالبين

فلما حمل بايار الى عليةٍ جثت ربة البيت على ركبتيها بجانبهِ وقالت (ايها السيد الشريف ان قوانين الحرب تخولك التسلط على كل شيء وانما اسألك ان تنقذ نفسي وابنتيَّ معي)

فاجابها بايار على آخر رمق «لا اعلم اذا كنت اشفى من جرحي، ولكن ثقي، فانتِ وابنتاكِ في امنٍ ونجاة ما دمت في قيد الحياة»

ولما حسنت حالهُ وتقارب شفاؤهُ سأل عن رب البيت الهارب وبعد البحث عرف مختبأهُ فأرسل اليه يعده بالعفو والحماية، ولما استعد بايار للخروج والعود الى الحرب افتكر رب البيت وزوجته بالفدية التي وجب عليهما دفعها مقابلة لحمايتهما فجمعا كل ما استطاعاهُ وهو ٢٥٠٠ دوكة ذهب ووضعاه في صندوق من فولاذ، وجاءت ربة المنزل الى بايار وخرَّت امامه فأمرها ان تنهض قبل ان اصغى اليها فقالت:

«مولاي: اني اشكر الله كل حياتي على انه سرَّ ان يرسل في مثل هذه الاحوال اميراً شريفاً كريماً نظيرك الى بيتنا فنحن اسراك والبيت وكل ما فيه لك بحق الغلبة، وقد جئت الان متوسلة اليك ان ترأف بنا وتقبل منا هذه التقدمة الزهيدة التي تشرَّفت الان بتقديمها اليك»

فسألها «كم معكِ هنا»: «مولاي الفان وخمس مئة دوكة، فان كانت غير كافية فقل لنا كم تريد فوقها فنسعى في اعداده»

فاجابها «لو قدمتم لي مئة الف دوكة لما ساوت عندي ما بدا لي منكم من المعروف»

فجثت ثانية على ركبتيها قائلة «ان رفضت هذه التقدمة احسب نفسي اتعس امرأة في العالم»

فاجابها « اني قبلتها ، لكني ارجوكِ ان ترسلي اليَّ ابنتيكِ لكي اودعهما» فجاءت الاختان وخرَّتا على ركبهما لكنه امرها بالنهوض فقالت الكبرى

« مولاي : انك ترى امامك فتاتين هما مديونتان لك بحياتهما وسلامتهما ، واننا آسفتان على عدم امكاننا ان نظهر لك شكرنا بسوى الدعاء طول حياتنا »

فقال « ليس بخافٍ عليكما ان الجنود لا حلى ولا جواهر معها لتهديها الى مثلكما من السيدات ، ولكن والدتكما طلبت اليَّ ان اقبل منها هذه الالفين والخمس مئة دوكة التي تنظرانها فأُعطي كلاًّ منكما الف دوكة اما الخمس مئة دوكة الباقية فاريد توزيعها على الاديرة التي نهبت »

هكذا عاش بايار وحارب — فعرض عليه البابا ان يجعله قائد الكنيسة العام ، ولم يكن حينئذٍ في اوربا الغربية سوى كنيسة واحدة فاجاب « ليس لي سوى سيد واحد في السماء وهو الله ، وسيد واحد على الارض وهو ملك فرنسا ولن اخدم غيرهما »

وفي نفس هذه البسالة والشهامة والاخلاص مات بايار ، فانه في اخر معركة شهدها اصابه جرح مميت ودنا الاجل المحتوم ، فقبل مقبض سيفه ، واذ اراد رفقاؤُهُ نقله من ساحة القتال ابى عليهم ذلك قائلاً « لا اشاء في ساعتي الاخيرة ان اولّي ظهري للعدوّ اذ لم اتعود ذلك قط في حياتي »

فاخذ رجاله يبكون حولهُ وكان العدوّ حاملاً عليهم فقال لهم « دعوني اموت ووجهي نحو العدوّ . ان الله اراد ان يأْخذني اليه ، قد فسح بأُجلي وقتاً طويلاً كافياً واراني من لطفه واحسانه فوق ما استحق فاتركوني لئلاَّ ينطبق عليكم العدو ويأْسركم »

ثم جاء الاسبانيون واخذوه اسيراً فقال له قائدهم « وددت ايها الامير

بايار لو خسرت من دمي ما استطيعه مع البقاء حياً وقبضت عليك في صحة جيدة

وقال له زعيم البربون الذي هجر الملك والوطن وانحاز الى الاسبانيين « اني ارثي لك كثيراً يا بايار » فاجابهُ

« اني اشكرك يا مولاي، لكني لست بآسف على نفسي ولا راثٍ لها، لاني اموت موت الامين الصديق ، اموت في خدمة ملكي ، فانت الرجل الذي ينبغي ان يُرثى له لانك شهرت السلاح على ملكك وبلادك ناكثاً بعهدك حانثاً بيمينك » . قال هذا ومات

وفي كل حياته الشريفة الطاهرة كان مزدرياً بالاغنياء ان لم يكونوا صالحين ومحامياً عن النساء اللواتي لا معين لهنَّ ومحسناً لليتامى واميناً لكل انسان غير خائف من الخطر ولا مخالف لصوت ضميره وامر الهه

من تأليف لجون كريبر (ترجمة اسعد خليل داغر)

وما جزاء الاحسان الا الاحسان

في ذات يوم من فصل الربيع كانت احدى مدن فرنسا مزدانة بالشموع والانوار والاكاليل، وخرج من تلك الابواب الخضراء شاب شريف استندت الى ذراعه فتاة بارعة الجمال تردت بثوب الاكليل وعليه الازهار على اختلاف انواعها وازدان شعرها باكليل من زهر الليمون يتدلى مع شعرها المترامي على قدميها كأنهُ يسألها شفاعة بنفسه لانه صبيحة ذات يوم هب مع هبوب النسيم فلطم خديها وآلم بنانها . .

ومن وراء العروسين اقبل اهل الفتاة وذوي قرباها والمحتفلون بالعرس

واسم الشاب مركيز دي كيريكو والفتاة وحيدة الكونت كلارفيل واسمها يولاند

ومشت حفلة العرس على ما وصفناه من الابهة تريد الوصول الى حيث اقامت المركبات في انتظارهم

— ثم قالت السيدة يولاند لوالدها — انه لنهار جميل يا ابي فهل لنا ان نذهب الى البيت مشاة فاجاب الكونت بالايجاب وهكذا ساروا في طريق القرية على ما ذكرنا من الاحتفال حتى بلغوا طريقاً ضيقاً فوقفوا فجأة اذ اعترضهم في طريقهم مجيء جنازة تريد الوصول الى الكنيسة التي خرج منها العروسان ... وكانت مظاهر الجنازة تدل على الفقر وفي النعش المحمول فتاة ليس على نعشها زهرة ولا امامها اكليل مع انهم في ايام الربيع

ووراء النعش رجل يبكي وهو الحزين الوحيد ومن معه من الرجال غرباء

وعند ما رأى حاملو النعش حفلة عرس المركيز وقفوا وحادوا عن الطريق فرفع الرجل الحزين راسه ونظر الى حفلة العرس الزاهية بحنق عظيم وامر حملة النعش باستئناف السير فلم يصادف امره سمعاً ومطيعاً

فتقدم كونت كلارفيل وخاطب جماعته قائلاً :

— ايها الاصحاب احترموا الموتى وافتحوا الطريق لمرور النعش ، فكانوا اطوع لامره من بنانه وافسحوا للجنازة مجالاً تمرّ فيه بينهم ووقفوا باحترام واكرام ورفع الرجال قبعاتهم واحنت السيدات الرؤوس حتى اذا مرّ النعش بالعروس يولاند محمولاً على ايدي الناس غير مغطى الا بثوب رقيق رأت ضمنه فتاة حسناء تبلغ السادسة عشرة من عمرها فحزنت لمصابها وزاد في حزنها ما رأته من عدم وجود زهرة واحدة على الاقل فوق نعش الطهارة والشباب

وفي طرفة عين اخذت زهرة من اكليل عرسها الجميل ووضعتها بلطف على النعش، ورأى الحزين عمل يولاند فلانت عواطفه وستر وجهه بيده وبكى فسأل الكونت كلارفيل مَن الرجل ، قيل له انه غريب قدم المدينة موخراً مع اخته وكان شديد التعلق بها فمرضت وماتت وصباح اليوم اراد ان يحتفل بجنازتها ودفنها فقيل له ان في الكنيسة حفلة زواج فلم يمنعه ذلك عن عزمه

وعند ذلك استأنفت حفلة العرس المسير وفي برهة وجيزة تحول قرع الاجراس من الفرح الى الحزن وعند الباب وقف الحزين وسأل احد الواقفين

— من هي تلك الحسناء — ان كنت تعنى العروس فهي السيدة يولاند

— اسعد الله حياتها

بعد مضي عشرين سنة على الحادثة التي تقدم ذكرها بدأت الثورة في فرنسا وهب رجال العامة على الاعيان وارسلت الحكومة الموقتة الى مدينة نانت رجلاً حاملاً اوامر مشددة بالتضييق ما استطاع على ذوي المكانة

وكان اسم هذا الحاكم كارير فامر رجاله ان يزجوا في السجن عدداً غفيراً من المظنون بهم فجمعوا هنالك النساء والغلمان وكانوا كل يوم يغرّقون في النهر عدداً كبيراً

وجعل في القاعة الفسيحة لجنة تشبه المحكمة يحضر اليها القوم ويقسمون الى فريقين المظنونين والمحكوم عليهم فمتى وقف احدهم امام كارير صاح بالحراس ان هذا محكوم عليه بالاعدام فيسرعون وينقلونه الى السجن حتى ساعة الاعدام المعينة فلا يبقون عليه

وفي ذات يوم نادى كاتب المجلس « هنري دي كيربكو » فحضر امام الحاكم شاب في الثامنة عشرة من عمره فقال الحاكم

– أ انت متهم بانك مقاوم لنا ؟

– نعم انكم قتلتم والدي وسأفي الدين شأني في كل حال

واذا بصوت امرأة قد اخترق الجمع قائلة بلهجة المستجير – هنري

فنظر كارير حوله وللحال اخذ هنري من امامه واحضر بدلاً منه امرأتين فسأل الكبيرة : أ انتِ والدة هذا الشاب

– نعم وهذه شقيقته ، وما هو اسمكِ -- يولاند دى كلارفيل مركيزة دي كير كو فاعلن كارير ختام المحاكمة وقل : حكمنا على هؤلاء الثلاثة بالاعدام

فأُخذوا الى السجن وكان موعد الابتداء بالاعدام الساعة التاسعة مساءً يقيد كل اثنين معاً ويوضعان في قارب حتى اذا بلغوا بهم منتصف النهر ذبحوهم او اطلقوا عليهم الرصاص وطرحوهم طعاماً للحيوانات اما ماركيزة كير كو وولداها فانتظروا وقت اعدامهم بصبر وخوف واذا بباب سجنهم قد فتح وجاءهم السجان بطلب الفتاة وحدها فخرجت الى ان صارت في غرفة كارير فانصرف الحارس ثم لما انفردا قال لها – ما اسمك – ايفون دى كير كو

– هل تحبين والدتك - - نعم ياسيدى – وشقيقك – واي حب احبهُ

– ماذا تفعلين من اجل نجاته – ابذل نفسى ان وفت بالمراد

– لا اسالكِ بذل نفسكِ بل ان تلزمي الصمت فما هو عمركِ

– ١٦ سنة يا سيدى – اذاً حتى الان لم تتعلمي الكذب فاصغي لكلامي هوذا رسالة اعهد بها اليكِ مشترطاً ان لا تفضّي ختمها حتى نصف الليل ولا تحدثي احداً بامرها – قد وعدت بذلك – فانصرفي

فاخذت الفتاة الرسالة ووضعتها في جيبها ونُقلت ثانية الى السجن وقبل ان تمكنت من اعلام والدتها بما تم فُتح الباب ثانية ودخل الحارس وامرهم ان

يتبعوه صامتين فساروا في الشوارع المظلمة حتى بلغوا الشاطئ فابدى الحارس اشارة واذا بقارب ظهر فركبوه ولبثوا في خوف ووجل بضع دقائق ثم رأوا مركبًا قد وقف في مركز خفي وقبل ان انتبهوا من غفلتهم رأوا ذواتهم على ظهر ذلك المركب وقد عاد الحارس في قاربه الى الشاطئ ولما هدأ روعهم قال هنري للقبطان : ما معنى كل هذا

معناه انكم قد نجوتم وكيف ذلك ومن الذي انقذنا ؟

لا ادري وجل ما اعلمه انني اليوم حصلت على ورقة ضمنها مبلغ وافر من النقود مآلها ان انتظر ثلاثة اشخاص يركبون باخرتي فاذهب بهم الى انكلترة ومع التذكرة والمال جواز مرور عليه توقيع كارير الحاكم

فتعجب الثلاثة لهذا الخبر ولم يعلموا سببه اخيراً قالت الفتاة للقبطان

— ما الساعة الان

- الثانية عشرة ونصف

فاسرعت الفتاة واخرجت الرسالة من جيبها وفضت ختمها وهذه صورته

« الى السيدة يولاند دى كلارفيل »

« منذ عشرين سنة في يوم زواجكِ وضعتِ زهرة من اكليل على نعش شقيقتي وكانت في السادسة عشرة من عمرها فارغب ان أفي الدين الذى عليَّ ومن اجل زهرتك امنحك ثلاثة انفس الامضاء (كارير)

(المراقب)

هارون الرشيد وبعض اخباره

واخبار الرشيد في العدل اكثر من ان تحصى ، وكانوا اذا ذكروا الظلم بين يديه بكى ، ومن امثلة ذلك انه كان قد حبس ابا العتاهية وجعل عليه عيناً يأتيه بما يقول فرأوه يوماً قد كتب على الحائط :

اما واللهِ انَّ الظلم لؤمٌ   وما زال المسيء هو الظلومُ
الى ديّانِ يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمعُ الخصومُ

فأُخبر بذلك الرشيد فبكى واحضرهُ وحلهُ واعطاه الف دينار . وله مع ابي العتاهية حديث اغرب من هذا وهو ان الرشيد اولم وليمة ووضع طعاماً وطلب الى ابي العتاهية ان يصف ما هم فيه من النعيم فقال :

عش ما بـدا لكَ سالماً   في ظلِّ شاهقةِ القصورِ
يسعى عليكَ بمـا اشتهيـ   ـتَ لدى الرواح وفي البكورِ
فاذا النفوسُ تقعقعت   في ظلِّ حشرجةِ الصدورِ
فهنـاك تعلمُ موقنـاً   ما كنتَ الاَّ في غرورِ

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى « بعث اليك امير المؤمنين لتسرهُ فاحزنتهُ » فقال الرشيد « دعهُ . رآنا في عمى فكره ان يزيدنا »

. . . . . .

ومن نوادر هذا الخليفة انه دعا ابا سفيان بكتاب بعثهُ اليه في الكوفة واخبره ان الناس قدموا اليه وانه فتح بيوت الاموال واعطاهم من المواهب السنية الخ فاجابه ابو سفيان بكتابٍ شديد اللهجة وفي جملة ذلك قوله :

اما بعد فاني كتبت اليكَ اعلمك اني صرمت حبلكَ وقطعت ودَّكَ وانك

قد جعلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك انك هجمت على بيت المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته في غير حكمه ، ولم ترضَ بما فعلته وانت ناءٍ عني حتى كتبتَ اليَّ تستشهدني على نفسك ، فاما انا فاني قد شهدتُ عليكَ انا واخواني الذين حضروا كتابك وسنؤدي الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل . يا هرون هجمتَ على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ... هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله المجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ...؟ ام رضي بذلك حملة القرآن واهل العلم ، ام رضي بفعلك الايتام والارامل ، ام رضي بذلك خلقٌ من رعيتك

الرشيد ويحيي بن خالد

ومما روي عن الرشيد ايضاً انه استشار وزيره يحيى بن خالد في تولية خراسان علي بن عيسى بن ماهان فاشار عليه ان لا يفعل ، فخالفه الرشيد وولاه اياها ، فلما شخص عليٌّ اليها ظلم الناس وجمع مالاً كثيراً ووجهَ الى الرشيد هدايا من الخيل والرقيق والثياب والمسك والاموال لم يرَ مثلها قط ، فلما وصلت الهدايا الى الرشيد اعجب بها وكان يحيى الى جانبه فقال الرشيد « يا ابا عليّ هذا الذي اشرت علينا ألاّ نوليه هذا الثغر فقد خالفناك فيه فكان في خلافك البركة » فقال « يا امير المؤمنين جعلني الله فداءك ، انا وان كنت احبُّ ان اصيب في رأيي واوفَّق في مشورتي فاني احبُّ ان يكون رأيُ امير المؤمنين اعلى وفراسته اثقب وعلمه اكثر من علمي . ان لم يكن وراء ذلك ما يكره ... ان هذه الهدايا ما اجتمعت لهذا العامل حتى ظلم فيها الاشراف واخذ اكثرها ظلماً وتعدياً ، ولو امرني امير المؤمنين لاتيته بضعفيها الساعةَ من بعض تجار الكرخ

١٨

جزاء المعروف

وقعت هذه الحادثة في ايام الخليفة المأمون الذي اشتهر بالعظمة والنبل ويكفي انه ابن هرون الرشيد ، الذي يعد من اعظم حماة الثقافة العربية

نحن الان في قصر الخليفة الذي استدعى كبير حراسه عباساً فجاء عباس هذا، فلما دخل الى حضرة الخليفة وجد امامه سجيناً مغلول الايدي مصفد الاقدام

عباس ! سمعاً وطاعة يا مولاي

خذ هذا السجين ، واشار الى الرجل الراقد على الارض يعاني اشد الالام واحفظه حتى الصباح . . . اعتنوا بمراقبته عناية خاصة واحذروا لئلا يفلت من ايديكم

امرك يا مولاي ! وخرج ، استدعى عباس بعض الجنود وامرهم بحمل السجين لانه كان قد وصل الى حالة الاعياء واصبح لا قدرة له على الحركة

خذوه الى داري فهو آمن مكان ! وسأسهر عليه بنفسي، فحملوه الى الدار واستقبلته زوجة عباس وزجته في غرفة صغيرة منزوية

واقبل عباس يتحدث الى هذا السجين ويسأله عن التهمة التي اتهم بها ، والبلد التي جاء منها فاجاب اني من دمشق

جزى الله دمشق واهلها عني خير الجزاء : وما اسم عائلتك

هل تعرف احداً هناك ؟ هل تعرف . فلاناً ؟ نعم

كيف تعرفت بهذا الرجل ؟ حدثت لي حادثة لن انساها مدى الحياة

فالح عليه السجين ان يقصها عليه فبدأ عباس يقول: اسمع ايها الرجل الدمشقي البائس ، منذ زمن بعيد كنت في خدمة حاكم دمشق فنشبت في ذات يوم ثورة وتحرجت الامور فباتت حياة الحاكم في خطر فنقلته خلسة من قصره وهربت به

وبينما كنت اسير في شوارع المدينة الضيقة التفت فوجدت بعض الرجال يتعقبونني فاسرعت في الركض وانا لا ادري الى اين تحملني قدماي ٠وضاقت الدنيا في وجهي فلم اعلم اين اختفي ٠

ثم التفت فاذا برجل جالس على باب بيته فصرخت : ساعدني عسى الله يساعدك ! — ادخل ٠٠٠ لا تخف ٠٠ ولم يتحرك من مكانه ٠ فدخلت فاستقبلتني زوجته وقادتني الى غرفة صغيرة منعزلة وبقيت معي تهدئ من روعي ٠ وقالت في دماثة :

سأبقى معك حتى يزول الخطر عنك ! ٠

وسمعنا حركة عنيفة في الخارج ، ووصل الذين كانوا يقتفون اثري واخذوا يطوفون في ارجاء الدار وهم يصرخون في غضب : والله لا بد ان يكون قد انزوى في ركن من اركان هذه الدار ! !

— الدار امامكم اقلبوها رأساً على عقب ٠ وعاد صاحب الدار الى مكانه في ساحة البيت ٠فاخذوا يفتشون ويفتشون ولكنهم لم يعثروا لي على اثر فقد اعماهم الله عن غرفتي ٠٠٠

واخيراً وقفوا امام الغرفة وظلوا يتشاورون ويتجادلون وقال واحد منهم -- لا بد ان يكون في هذه الغرفة — وقال آخر ٠ ندخل ونفتشها --

— وقال ثالث . رأيناه بعيوننا يدخل هذه الدار ومن المستحيل ان يكون قد خرج

فخرجت المرأة من مكانها ووقفت من وراء الباب وقالت في جرأة اين النخوة ايها الرجال ؟ اتودون مهاجمة «الحريم»

— عفواً عفواً وساروا في طريقهم دون عناء بعد ان ايقنوا ان التي تحادثهم «سيدة» والعرب يجلون النساء ويحترمونهن ! وعادت المرأة فرحة بانتصارها فأخذت تهدئ من اعصابي وتحثني على طرد الخوف عني بعد ان رأت قواي قد خارت ولم اعد اقوى على الوقوف ، وعاد صاحب الدار يقول : زال الخطر ! ان الله قد صرف عنك الاذى واصبحت بامان باذن الله

جزاك الله عني خيراً ايها السيد !

وبقيت اربعة شهور معه اعامل ارق معاملة يمكن ان يعاملها الصديق اصديقه فقد خصص غرفة خاصة لنومي و كان يقدم لي الطعام في اوقاته، ولا يترك وسيلة من وسائل ادخال السرور الى قلبي الا التجأ اليها وعلى الجملة فقد كان يعدني احسن رفيق ، واعز صديق !

واخيراً خرجت شاكراً ممتنا لاعود لاهلي بعد ان عادت الامور الى مجاريها ولكني لم اعثر على واحد منهم فعدت الى مضيفي فسألني عما اعتزمت ان اصنعه فقلت اني صممت على ترك دمشق الى بغداد

-- القافلة تتحرك بعد ثلاثة ايام

—لقد كنت كريماً الكرم كله واني لن انسى لك هذا الجميل . واتمنى ان تسعدني الظروف لاجازيك على صنيعك هذا . فنادى مضيفي عبداً من عبيده وامره ان يعد جواداً لسفرة طويلة. واخذت زوجته تجهز الطعام

والمؤونة . وقد خيل لي ان رب الدار قد عزم على سفرة قصيرة فلم احدثه بهذا الشأن – وجاء موعد سفر القافلة ، فاقبل مضيفي في الصباح الباكر الى غرفتي وقال :

قم : فان القافلة ستتحرك بعد ساعة على الاكثر . فلما سمعت منه هذا الحديث استولت عليَّ الحيرة واضطربت وقلت في نفسي : اني لم اشترِ ما احتاج اليه في سفرة طويلة كهذه ولكني نهضت على الفور فوجدت الرجل يحادث زوجته النبيلة فما ان وقع نظر الزوجة عليَّ حتى قدمت لي افخر الثياب التي كانت قد اعدتها لزوجها !! قدم لي صاحب الدار سيفاً وحزاماً امنطق به وسطي ثم قادني الى مكان فرأيت معدات السفر كاملة وصناديق مملوءة ثم وضع في يدي كشفاً بمحتوياتها التي كان منها خمسة الاف درهم

-- اركب هذا الجواد واترك الامتعة للعبد سيسير وراءك ليحرسك ويعنى بك واخذ يعتذر بانه لم يقم بضيافته حق الضيافة . واظهرت زوجته من العواطف الرقيقة ومن المروءة والنبل ما لن انساه . ومشى الرجل وزوجته معي مدة طويلة يودعانني اجمل وداع ثم ودعاني وداع ترك في نفسي اعمق الاثر . وقد بقيت هذه السنين الطويلة اتمنى ان احظى برسالة من هذا الصديق الوفي لافيه بعض الدين الذي اثقلني به .

وصمت السجين حتى سمع هذا الحديث الطويل ثم طفح وجهه بالبشر وقال لقد اتاح لك الله ان تكافيء هذا الرجل الان . فسأل رئيس الحرس وكيف ذلك :

– انك امام الرجل الذي ساعدك على النجاة بحياتك ! ... ولكن المحن التي صادفتني في حياتي والشقاء الذي لاقيته ، والحزن الذي استسلمت له هذه وغيرها جعلتني رجلا آخر حتى اصبح يصعب عليك معرفتي . ثم

اخذ يقص على الرئيس بعض التفاصيل والذكريات التي جعلته يتأكد انه امام الرجل الذي احسن اليه في يوم من الايام ونجاه من الموت . عندئذٍ لم يستطع عباس ضبط عواطفه فنهض وقبل يد سجينه وقال والدموع تنهمر من عينيه

– وما الذي اوصلك الى هذ الحالة ؟ . . .

– قامت فتنة كالتي حدثت في ايامك في دمشق واتهموني باني ممن اشتركوا فيها فجرد امير المؤمنين حملة واخمد الفتنة وقبض عليّ وحكم علينا بالموت مع جماعة من العرب الذين يخلصون لامير المؤمنين ولكن الوشاية لعبت دوراً كبيراً . واوثقوني بالقيود وارسلوني الى امير المؤمنين على اني زعيم العصابة التي اثارت الفتنة . ومن هذا ترى ان تهمتي شنيعة . واني اذا كنت قد حزنت على شيء فهو حزني لاني قد تركت داري قبل ان اترك وصيتي فاذا كنت حقيقة تريد مكافئتي فاذهب الى دار فلان . . . (ووصف له صاحب الدار ومكانها) وابحث عن العبد الذي لحق بي سراً من دمشق حتى اسلمه الوصية فاذا فعلت ذلك تكون قد وفيت الجميل . فاجاب عباس – الله يدبر ما فيه الخير – وعندما اسدل الليل سدوله استدعى عباس حداداً ليحطم هذه السلاسل والقيود ثم اخذ ضيفه الى الحمام وبعث باحد رجاله ليحضر العبد .

ووصل العبد فجثا امام سيده . فبكى السجين وهو يملي عليه الوصية .

اما عباس فقد اسرع وطلب اعداد عشرة خيول وعشرة صناديق من الثياب ومثلها من المؤونة . ووضع في كيس عشرة الاف درهم وخمسة الاف دينار ثم قدم هذا الكيس لصديقه الوفي والتفت الى احد اتباعه وقال : خذوا هذا الرجل واوصلوه الى آخر الحدود

– ان جريمتي لا تغتفر واذا انت اطلقتني فان الخليفة سيرسل رجاله يبحثون عني وسيصلون الي لامحالة وستكون عاقبتي الموت دون ريب

– لا تضيع دقيقة واحدة من وقتك اهرب ايها الصديق وانج بنفسك

– والله لن اهرب حتى اعلم ماذا سيكون من شأنك مع الخليفة · لن افارقك حتى اعلم بمصيرك

– خذوه الى مكان امين واحرسوه حتى الصباح ما دام يريد البقاء معنا فاذا نجوت في الصباح سيعلم ما لم يكن يعلم واذا لم انجح فاكون قد ضحيت بحياتي في سبيله · واذا لم اعد فلا اود منكم ان تمسوا شيئاً من الاموال التي قدمتها له · وابذلوا جهدكم في الاحتفاظ بحياته الثمينة · فاقسم صديقه على ان يكون اوفى به منه فتركه واخذ يستعد لملاقاة الخليفة فصلى صلاة الصباح وعطر نفسه بالبلسم واعد كفنه وقام بالاستعدادات الضرورية التي يقوم بها من يعلم علم اليقين انه على ابواب القبر ·

ثم اقبل رسل الخليفة في الفجر · وقرعوا الباب وقالوا : ان امير المؤمنين يحتم حضورك هذه الساعة مع السجين ·

فنهض عباس وخرج معهم وترك السجين مع رفيقه الوفي وحمل كفنه معه تحت ذراعه وعندما وصل الى القصر تطلع الخليفة فلم يجد السجين مع عباس فاستشاط غضباً وصرخ :

ويل لك ايها الفاجر · اين الرجل ؟

اتوسل اليك ان تصغي لحديثي يا امير المؤمنين

اقسم بالله انك اذا ذكرت لي انه هرب منك لامزق جسمك تمزيقاً

ان السجين لم يهرب يامولاي واخذ يقص على الخليفة قصته بطريقة

موثرة خلابة وقال هذه قصتي يا مولاي ولك ان تقتلني اذا اردت فاكون قد ضحيت بنفسي في سبيل الاحتفاظ بحياة صديقي الوفي · وقد احضرت كفني معي ولك ان تعفو عني فتكون قد شجعت على الوفاء للاصدقاء · فتأثر الخليفة من هذه القصة المؤلمة وقال :

كان الاجدر بك ان تقدمه لي لاكافئه مكافأة اعظم من هذه المكافأة انه رجل يستحق ان يعامل احسن معاملة ! · · انه ما زال هنا يا مولاي فانه قد وعد بانه لن يتركني الا بعد ان يتحقق من مصيري ·

ان هذه تضحية اعظم من تضحيته الاولى فاذهب واحضره لاجازيه احسن الجزاء

وعاد عباس الى صديقه القديم وقص عليه ما جرى له مع الخليفة

الحمد لله ! · · الحمد لله · · وجثا يصلي ؟ · ثم سار مع صديقه الى قصر الخليفة وبعد ان حادثه امير المؤمنين ارق حديث دعاه لتناول الطعام على مائدته · وعرض عليه ان يكون حاكماً لدمشق فالتمس ان يعفى من هذه الوظيفة فانه لا يليق لها فقدم له الخليفة عشرة خيول مطهمة وعشرة بغال وعشرة اكياس من الذهب ومثل هذا العدد من العبيد · وكتب الى نائبه في دمشق يطلب منه العناية به واعفاءه من الضرائب مدى الحياة

وكان كلما وصل بريد دمشق نادى امير المؤمنين عباساً وقال :

عباس ! عباس ! · · خذ هذا الخطاب من صديقك الدمشقي

البرق

١٩

حكاية عرس وتشريح الافكار فيه

ملخصة عن الانكليزية بقلم الاستاذ داود قربان

زفت الآنسة سنثيا جكسن الى الخواجه «توما روكر» وهي تهوى غيره وكانت حفلة الزفاف غاية في الرونق والابهة حضرها فريق كبير من اقارب العروسين واصدقائهما حتى غصت بهم الكنيسة على رحبها . وها نحن موردون للقاريء الكريم خلاصة ما كان يتردد من الافكار في خواطر الحضور والعروسين ووالدي العروس وغيرهم ساعة الزفاف

افكار والد العروس (وعلائم السرور بادية على محياه)

ستكون مرتاحة معه لانه شاب مهذب . وهذا الامر يسلينا ويعزي قلوبنا . نعم كانت زينة البيت وسلوان العائلة ولكن ما العمل والأعمال التجارية ليست كما يرام في هذه الايام حتى اخصص لها مبلغاً يضمن لها راحتها اذا بقيت عازبة . فاوفق شيء للبنت ان تقترن برجل يناسبها وابنتي قد كبرت فلا يجوز تأجيل زمن زواجها ومن العجب انها لم تشأ ان تتزوج قبل الان . ولكن لم يأتها الاكفياء من الخطاب معما حازته من الشهرة في دائرة اصدقائنا ومعارفنا الا انه كان في امكانها ان تقترن بالخواجه توما في اي وقت ارادت في غضون الاثنتي عشرة سنة الماضية فانه حاول جهده ان يقنعها فأبت . وكل انسان يتمنى ان يحصل على صهر مثله . ولكن ابنتي مثل سائر البنات

تغتر بالظاهر وتعرض عن الصفات الجوهرية التي هي اهم مقومات الانسانية فهي مثل امها . فاني حاولت مراراً ان اخطبها وكانت كل مرة ترفضني . ولما عجزت عن وجدان غيري رضيت بي زوجاً لها . وهكذا ابنتي لو لم تخشَ ان تبور ما رضيت توما عريساً لها مع انه احسن شاب في بلدتنا . وحينما أُفكر بزمرة البطالين الذين كانوا يحومون حولها اشكر الله لانها لم تقع في شرك احدهم وكنت اخاف كثيراً ان تقع في شرك الشاب العصري رولاند لانها كانت اميل اليه منها الى سواه مغترة بظاهر حاله . والحقيقة انه لا يصلح لها ها انتِ يا ابنتي العزيزة في حلة اكليلك البيضاء كملاك طاهر فما اجملك . اني ادعو لكي بالهناء والصفاء »

افكار والدة العروس

« مسكينة ابنتي . لابد ان تكون مضطربة الافكار الان ليتني على يقين من انها تريد توما من قلبها فان ذلك يخفف عني لوعة فراقها سأشعر في غيابها ان البيت فارغ لانها لم تكن تفارقني فكيف اصبر على فراقها واعيش وحدي لكن يجب ان افتكر لمستقبلها وانسى لذة معيشتي معها . فاذا تأكد لي انها ستكون سعيدة في حياتها الجديدة سري عني . توما شاب لطيف واديب وقد كان متعبداً لاقنومها سنين عديدة فلا يؤمل ان يتغير بعد . ولكنها هي لا تحبه . ليتها كانت تحبه . الا انهم يقولون ان المحبة قبل الاقتران لا تدوم طويلاً بمدة لان المتحابين يتوقعان بعضهما من بعض رغائب كثيرة قد لا تتحقق فيقعان في الخيبة هكذا يقال . انا لم اعرف ذلك بالاختبار لاني لم اكن احب زوجي كثيراً قبل ان اقترنت به اذ لم ارَ فيه ما يجذب القلب اليه . ولذلك رفضته

مراراً قبل ان رضيته بعلاً . ولكننا بعد الاقتران عشنا اهنأ عيشة كل ايامنا الماضية . واني لأخشى انها لا تزال تحب رولاند فعسى ان تكون سلته' لانها صارت ذات بعل الان فلا يليق بها ان تميل الى سواه . ما اجملها « الابيض دائماً يليق بها »

افكار الاشبينة

ـــ لا بد لي من ان اشعر بشيء من الحزن الان مع ان صديقتي الآنسة جكسن قد احسنت الاختيار . لاني احسب اقترانها بشخص لا تحبه وقد رفضته عشرات من المرات في الاثنتي عشرة سنة الماضية حطة من شرفها . ماذا تستطيع البنت ان تفعل والمثل يقول « اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون » هذا وهي قد تجاوزت الثلاثين من عمرها والمستقبل لا يريها بارقة امل . ولو كان ابوها غنياً ويؤمل ان يترك لها مبلغاً كافياً من المال لهان الخطب عليها وبقيت عزباء وعاشت عيشةً هنيةً هنية وساحت في ارض الله الواسعة ترويحاً للنفس وتفريجاً للكرب . ولكن الفقر لا يطاق مع العنس . لا اعلم ما اذا كانت صديقتي صارت تحب توما الان وكيف تقترن به وهي لا تحبه ؟ انا لا اقدر ان اقترن بشخص لا اهواه . اسمع الناس يتكلمون عن تولد الحب في الزوجين بعد الاقتران اما انا فلا احب حفلة الزفاف والفرح والهدايا والجهاز ولكني احب ان اقف موقف صديقتي سنثيا . ما اجملها كانها بنت ١٧ الا انها عابسة كانها تميل الى البكاء ليتني اعرف عواطف قلبها في هذه الساعة »

افكار الحضور متضاربة

« عافاها . لقد احسنت اخيراً » ـــ « كنت احسب انها لا بد ان تذعن

اخيراً وترضى عنه وهكذا صار » – « من حسن حظها انه انتظرها الى الان فقد كان في الامكان ان يأخذ غيرها فلا يبقى لها امل بغيره · ولو كان اخذ غيرها لكان الشامتون بها كثاراً » – « انها لجميلة ولطيفة وذكية » – « لا ارى فيها شيئاً جميلاً · فهي مصفرة البشرة متكبرة مغرورة » « انها فتنة الابصار واتمنى لها من السعادة على قدر ما تستحق » – « انها عانس تناهز الاربعين وقد رفضت هذا المسكين كبراً ودلالاً مراراً كثيرة » – « انها لا تحبه ولا يهمها امره » – « انها كانت تحبه في قلبها ولو تظاهرت بعكس ذلك » – « قبلته لانها لم تقدر ان تجد غيره قريناً »

افكار العريس

قد حصلت اخيراً عليها وجبر الخاطر الا اني اخشى تغير فكرها في الساعة الحادية عشرة كما تفعل بعض الاوانس ، والارجح انها لا تقدم على عمل كهذا ، لانها شريفة المبادئ ولا اعرف بنتاً اعقل منها واثبت على العهد متى عاهدت ، الا اني ما زلت اجهل سر رفضها الزواج في غضون المدة الماضية مع ان اكثر البنات يملن الى ذلك متى سنحت لهن فرصة وقد قالت لي مراراً انها لم تجد في من تعرف من الشبان من يستحق ان تهب له قلبها وحريتها فما اغرب اطوارها ، كان يظن ان بنتاً مثلها حكيمة فهيمة تتوق الى ان تكون ربة بيت ولكنها كانت تسخر من هذا الفكر كلما ذكر لها ، غريبة هي افكار بعض الاوانس لا استطيع فهمها ولا ادعي اني افهمها ، ولقد احسنت في انها لم تقبلني قبل الان فاني لم اكن قادراً على فتح بيت والقيام بالنفقة اللازمة واكره ان اطيل زمن الخطبة ، الان فاني قادر على ذلك بلا اقل صعوبة

وتستطيع رفيقة حياتي ان تعيش معي عيشة الرخاء والهناء ولا شك في ان حظي كبير بحصولي على هذه الجوهرة الكريمة ، فقد كان في امكانها ان تقترن بغيري ، ولكنني كنت موقناً انها لا تفعل ذلك لانها كثيراً ما قالت لى انها ستبقى عازبة ويسرني جداً اني جعلتها تعدل عن هذا الفكر بل اني اشعر بشيء من فخر الفوز والانتصار ، والحق انها تستحق هذا الانتظار الطويل من جانبي لانها اجمل عروس في الدنيا »

افكار العروس

« ليتني استطيع الفرار الى اقصى الدنيا لانجو من هذه الحال ، آه ذلك ليس في الامكان ، فما عليّ الا ان اسلم الى الاقدار وحكم الزمان ، لماذا ياترى يجب علينا نحن معاشر النساء ان نتحمل ما لا نستطيع عليه صبراً ، ولماذا لا يحبنا من نحبهم بل يحبنا من لا نحبهم ، واذا احبت الواحدة منا شاباً من كل قلبها وفكرها ونفسها لا تجسر ان تبوح له بذلك ابتداء ، فهذه هي مصيبتنا وبلاؤنا ليس لنا الحرية التي لغيرنا ، المرأة الشجاعة الامينة نحو ذاتها لا تفعل فعلي ولا تتساهل تساهلي بل تقترن بمن تهوى او تبقى عازبة طول حياتها ، لقد مضى زمن الرفض ولا مناص لى مما انا فيه ، توما يحبني حباً فائقاً مع اني لا احبه وقد اظهرت له خشونة وكسرت خاطره مراراً بكلامي الجافي وكان كلما زاد اشتعال رأسه شيباً يزيد اسىً وكمداً ، ولكن ياترى هل كانت تجوز عليه اكاذيبي ؟ الم يقرأ عواطف قلبي في وجهي حين كان يجتهد في بيان خطإي في اصراري على العزوبة ؟ فان التزوج بمن احب كان شغل افكاري الشاغل ، ولو كان الخواجه رولاند سألني ان اتبعه الى اقصى

المعمور للاقتران به ما تأخرت لحظة عن اتباعه ، يارولاند ليس شيء اعذب للساني من ان ادعوك قريني العزيز واعيش معك دوماً واخدمك بروحي وجسدي واتحمل كل عذاب من اجلك فان العذاب في سبيل الحب الحقيقي عذبٌ . لماذا لم تتخذني زوجة لك وتنقذني من الحالة ، انا اعلم انك كنت تحبني او على الاقل كنت تجعلني اعتقد هكذا لانك لم تصرح بحبك لي بل بقيت متكتماً ، اما انا فكنت ولا ازال احبك ولكني اشد تكتماً منك لانهم يعلموننا ان نخفي حبنا ولا نبديه لاحد قبل ان يبدي هو افكاره من جهتنا ، وانه لامر فطري فينا نحن النساء ان نحافظ على عزة انفسنا ونتظاهر باننا لا نكترث لاحد حتى لا نجعل انفسنا رخيصة ولكن يارولاند لم تكن الحقيقة خافية عليك بالرغم عن كل مظاهراتي الكاذبة ، لاني سمحت لك مرة بما لم اسمح به لسواك ، سمحت لك مرة ان تقبلني قبلة الحب الطاهر ، التي حملتني الى عالم السعادة التي لا يعبر عنها ولكن ما لي ولهذه الافكار التي تنغص عيشي وتذهب بكل اثر للسرور في فؤادي يجب ان افتكر الان بلطف توما وحبه وثباته على ولائي وسائر صفاته الشريفة ، قد ابتدأت اميل اليه بعض الميل منذ امدٍ يسير ولكن حين افتكر اني ساعيش معه كل حياتي افضل الموت على الحياة

لا لا ، هذه افكار شيطانية ، ها ان والدتي لم تكن تحب والدي وقد رفضته تكراراً واخيراً قبلته زوجاً لها وهما في غبطة تامة يحسدان عليها ، نعم اني رضيت توما بعلاً لي ولكني اشعر باني خسرت خسارة لا تعوض خسرت محبة من احبه نفسي كنفسي وقد فضلته على رجال العالمين . اكاد ابكي حتى تذوب عيناي من البكاء حين افتكر بتلك الخسارة فلو حصلت على مرادي

شهراً او اسبوعاً او يوماً واحداً ما خشيت الموت لاني اشعر اذ ذاك باني عشت

لماذا تستولي عليَّ هذا الافكار ، يجب ان اقلع عنها والا ساء المآل ، ان رولاند لم يكن يبالى بي فكان الحب والميل من جانبي فقط ، ويسرنى الان اني لم اكشف له قلبي تماماً فما اعظم الفرق بين حال المرأة وحال الرجل، انى احببت رولاند كما كان توما يحبنى ولكنى لم اجسر ان ابدي له حبي ولو فعلت ذلك لعد عاراً عليَّ ولاحتقرت نفسى واحتقرنى هو ايضاً ، اما توما فبقى يظهر لى حبه ويحاول ان يقنعنى بقبوله سنين عديدة وانا اخاشنه ، ومع ذلك كله لم يحتقر هو نفسه ولا احتقرته انا ، فلماذا نحن معاشر النساء ذوات شمم و كبرياء ؟ فلوكان رولاند ابدى نحوي شيئاً من الامتهان لكنت لحست التراب ، اما انا فقد امتهنت توما امداً طويلاً برفضي اياه لكن ذلك لم يثنه عني ، فهل ذلك لان الرجال اقل كبرياء منا ؟ اظنهم اكثر اغتراراً بانفسهم واشد احتقاراً لجنسنا حتى انهم لا يحفلون بامتهاننا لهم مع انهم يحملون اقل من ذلك بعضهم من بعض ، عما قليل اصير مدام توما ووكر وتتحقق آمال والديَّ اللذين كانا يخشيان ان يكون مستقبل حياتي تعساً اذا بقيت عازبة ، فحسناً فعلت لتحقيق آمالهما فلربما مرت هذه الفرصة ولم تسنح لى غيرها فاكون سبباً لتعب افكارهما فوداعاً ايها الوالدان العزيزان وداعاً لحياة العزوبة العذبة"

افكار رولاند

وهو الذي كانت تحبه سنثيا

حين وصلته رقعة الدعوة الى زفاف حبيبته قال : « هكذا زفت سنثيا

الى توما ووكر هنيئاً له انه اقترن بافضل بنت في بلدتنا ، اني اميل اليها واحبها واحترمها ولكني صفر اليدين من النقود فلا استطيع ان اقوم بنفقات الزواج والبيت ولا يجوز في شرع الانصاف ان اوقفها على حسابي الى ان يمن الله بالايسار فلربما سئمت نفسي منها او سئمت مني مع مرور الايام ، ولكنني متعجب كيف قبلت توما وقد كانت تحب كل فتىً في البلدة اكثر منه فسبحان مغير الافكار ومبدل القلوب ، وليس عليَّ الان الا ان ادعو لها بالهناء والرفاء » اه

خاتمة الجزء الاول من الاطايب

تم الجزء الاول من هذه المجموعة وقد وقع اختيارنا فيه على تسع عشرة من الحكايات المفعمة بالسجايا العالية كالصبر والشجاعة والاخلاص والعفة والامانة والرفق والوفاء والرجاء وغير ذلك من ساميات المناقب التي نحتاج اليها كافراد ومجموع ولا سيما في هذه الايام التي فشت فيها مذمومات الاخلاق والعادات . ولا يخفى انا اصبحنا في زمن ازداد فيه ميل الناس الى مطالعة الروايات والحكايات التي انتشرت موضوعةً ومترجمةً الا انه لم يراعَ حسن الاختيار في ما يكتب او يمثل اذ امتزج الصالح بالطالح والغث بالسمين وهذا ما دعانا الى تأليف سلسلة المناهل اولاً وهي مجموعة الملح والنكات . ثم سلسلة الاطايب وهي مختارات الحكايات من مصادر مختلفة وكلها عظات يراد بها تهذيب الاخلاق ودفع النفوس في سبل الفضيلة باسلوب فكاهي يمتلك لب المطالع

فهرس حكايات الجزء الاول

من الاطايب

« تنبيه » اغفل تنمير بعض الحكايات سهواً

بيروت مطبعة الوفاء سنة ١٩٢٢

الاطايب

الجزء الثاني

هي مختارات من الروايات والحكايات التهذيبية تصدر اجزاء متتابعة

(تنبيه) صدر الجزء الاول من هذه المختارات بثمانين صفحة تضم تسع عشرة رواية وحكاية من شرقية وغربية مؤلفة ومعرّبة باقلام عدد من الكتاب والكاتبات وكلها تحث على اتباع ساميات السجايا ونبذ المذموم من الصفات، وقد ادرك قيمة هذه الخدمة كثير من اهل الفضل المهذّبين اذ رأوا ان في مطالعة هذه المختارات تغذية للافراد والعيال والمدارس وارباب الاعمال فهي تنعش بمبادئها الشيوخ والكهول وتشدد عزائم الشبان والاحداث وهذا هو الجزء الثاني منها — وتسهيلاً للحصول عليها جعلنا ثمن الجزء الواحد خمسة فرنكات خالص اجرة البريد فمن اراد اقتنائها فليفاوض بذلك صاحبها (جرجس الخوري المقدسي) منشىء المورد الصافي في بيروت

٣٠

يزيد وبروتيلدى

كان يزيد بن خالد بن الوليد يمتطي جواداً كريماً سرجه من الفضة ويسير في طليعة فرقة من الفرسان العربية المجربة على طريق رومانية قريبة من نهر غزير سماه العرب فيما بعد الوادي الكبير

وكان يزيد في ربيع الحياة جميل الطلعة جذاب الملامح صلب العود قوي الارادة . فما نازل خصماً الا قهره وما غزا بلداً الا امتلكه وما خاض معركة الا خرج منها ظافراً . وكان في طريقه يتحدث الى صديقه ابن مالك ويخبره بتيه واعجاب عن الانتصارات الباهرة التي حازتها جيوش والده في اجتياحها

بلاد القوط والمعارك المقبلة التي يأمل ان يخوضها وينتصر فيها

ومع ان القوطيين هبوا دفعة واحدة لصد الغزاة والدفاع عن اوطانهم بشدة وصلابة فقد كان نصيبهم الاندحار دائماً . واختفاء رودريك الفجائي الغريب احرج مركزهم واحدث وهناً في نفوسهم شل حركاتهم واقعدهم عن الدفاع والمقاومة فانقسم الجيش العربي عندئذٍ الى اربعة اقسام زحف الاول منها على ملقة والثاني على غرناطة والثالث على طليطلة والرابع على قرطبة وكان هذا مؤلفاً من ستمائة فارس بقيادة يزيد

ومضى يزيد بفرسانه شوطاً بعيداً بغير ان يصادف اقل مقاومة وقبل ان يبلغ الجسر الكبير لقيه رجل فقير من سكان البلاد وابلغه بواسطة المترجم ان على مسافة قصيرة من ذاك المكان قرية عامرة احتل رجالها الجسر لمقاومته وصده وبقيت نساؤها فيها لحمايتها

فارسل يزيد فصيلة من فرسانه لغزو القرية واعتقال النساء ، وهجم هو بالباقي على الجسر فاحتله وبدد شمل حاميته

وعسكر الجيش المنتصر في الناحية الثانية من الجسر منتظراً عود الفصيلة من القرية بالسبايا . فقدمت بعد قليل وهي تسوق امامها عدداً من النساء ، اكثرهن من الاماء والخدم ما عدا واحدة كانت ذات جمال باهر وقامة هيفاء وظواهر انيقة تدل على سمو منزلتها . وفتن بها يزيد فامر باحضارها اليه وبينما هو ينظر اليها ويتأمل في محاسنها اذا برجل طويل القامة شديد العضل مهيب المنظر يصيح بغضب بين الاسرى ويحاول التملص من قيوده والهجوم على يزيد فسأل هذا عما اذا كان ذلك الرجل زوج الاسيرة فقيل له انه اخوها . فنظر يزيد طويلاً في وجه تلك الحسناء الساحر ثم امر بابقائها مع اخيها في موكبه

ومعاملتهما بالحسنى -- ودخل يزيد في اليوم التالي مدينة قرطبة وبعد يومين استقدم الاسيرة الى خيمته

وكان يزيد منذ دخل قرطبة وهو لا ينقطع عن التفكير في تلك الفتاة الفتانة ذات العينين الزرقاوين الكبيرتين والشعر الاشقر الجميل والثغر الندي القاني والذراعين الناعمين اللطيفين . لقد ابصر في حياته كثيراً من النساء الجميلات الساحرات ولكن الامرأة الوحيدة التي استطاعت ان تستولى على قلبه وفكره وعواطفه هي تلك القوطية الخلابة

ولما امتثلت بين يديه وابصرها مشوشة الشعر ملوثة الثياب بغبار الطريق واوحاله وقد بلي حذاؤها من طول السير شعر بألم عميق في نفسه لم يلبث ان ظهر على مرآة وجهه . وامسى لشدة شغفه بها يعتبر ان ابعاد تلك المخلوقة الرقيقة ثلاثة ايام كاملة عن مراتع انسها ونعيمها وصفو عيشها وتعريضها لذل السبي وعذاباته والامه جريمة كبرى لا يعرف كيف يكفر عنها . وكانت هي هادئة في حضرته ساكنة مطمئنة فلم يجرؤ على مخاطبتها بقسوة وغلاظة كما اعتاد رجاله مخاطبة غيرها من الاسيرات فامر باحضار شقيقها اليه

وكان عليه في ساعة اختلائه بها في الخيمة ان يستعين بكل اباء وصبر وشمم امته العربية الكريمة كي لا يكاشفها بغرامه وبسمعها عبارات الحب والعبادة والتمجيد والتسبيح المتصاعدة من اعماق قلبه الى فمه بقوة وشدة وهيام وحرارة تشف عن اشتعال نفسه بنار الهوى الكاوية

وقدم الاسير وكانت امائر الغضب والحقد ظاهرة في حركاته واشاراته ونظراته فاضطر يزيد الى ان يخفي ما ارتسم على وجهه من اثار التأثر والافتتان والحنان ويتخذ هيئة جدية رصينة تتفق مع اخلاق قومه العرب ويخاطب

الاسيرين بلهجة الظافر الحازمة فقال لهما بواسطة المترجم : ان مصير الاسير حسب شريعة نبينا هو الموت او العبودية ولكن اذا كانت هذه الحسناء تقبل بملء ارادتها ان تكون عروسي وملكة قلبي وبيتي وأولى زوجاتي (هذا اذا اعتزمت الزواج يوماً ما بامرأة ثانية) فاني اعفو عن اخيها واطلق سراحه بغير اقل ضريبة او غرامة

فغضب الاسير لهذه الكلمات واخذ يهدد بالفاظ حادة متقطعة تدل على شدة غيظه ، وتلفظت الاسيرة بكلمات هادئة ساكنة كأنها لا تكترث لما يجري حولها. ثم قال يزيد للمترجم وهو يشير الى الاسير : بماذا تلفظ هذا الرجل؟

قال انه يفضل الموت الف مرة على ان يرى اخته تكفر بامتها ودينها وتنضم الى رجل حقير مثلك

والتفت الى الاسيرة وقال : وماذا قالت هذه ؟

— قالت ان قوانين الحرب تضعها بين يديك لتفعل بها ما تريد فيمكنك ان تعذبها وتجلدها وتميتها ولكنها لا تضمر لك في قلبها غير البغض والاحتقار

فلم يغضب يزيد لهذا الاباء وهذه الجرأة والصراحة ولم يحقد او يتوعد او يتهدد او يعمد الى التعذيب والانتقام كعادة الصعاليك الاذلاء الادنياء في مثل هذه الحال ، بل اكبرها وعظمها واعجب بها شأن الابطال الحقيقيين الذين يقدرون المواقف العظيمة حق قدرها . لكنه شعر بكآبة وحزن وألم انساه كل مجد الانتصارات وكل ما هو فيه من عز وصولة ودولة ليفتكر في هيامه فقط وعجزه عن امتلاك قلب تلك الاسيرة الابية . وقضى شهراً كاملاً وهو يزورها في كل يوم ويحتمل جور صدها ونفورها ويذوق مرارة بغضها واحتقارها. واخيراً لما شعر بعجزه عن ارضائها وحملها على حبه ولترفعه عن

تعذيبها واذلالها والاساءة اليها استقدمها مع اخيها الى حضرته وقال لها :

اسمعي يا جميلتي ان قوانين الحرب تخولني حق التصرف بكِ وبأخيكِ كما اشتهي واريد ولكن حبك يا معبودتي جردني من هذا الحق ومع كل اعراضك عني وبغضك لي فانا لا اعرف ان احقد عليكِ او اسيء اليكِ ، وبما انك لا تستطيعين ان تشعري نحوي بغير عاطفة البغض والاحتقار فالافضل ان احرم نفسي حظ مشاهدتكِ ، الذي هو عندي اعظم من كل مجد العالم وخيرات الارض ، واطلق سراحك مع اخيكِ فيمكنكما ان تنصرفا منذ الان ، ايها الرجل هوذا سيفك وخوذتك ودرعك وجوادك ، ايتها المرأة هذا جواد كريم لركوبك مجهز كما يليق بامرأة خطيرة الشان نظيرك

فدهش الاثنان كانهما لا يصدقان ما يسمعان، وبعد ان تبادلا النظر التفتا الى يزيد فاراها هذه الاسلحة والجوادين عند باب الخيمة . فاسرع الرجل وتقلد سلاحه وامتطى جواده وهو يشكر يزيد بعبارات حادة مرتبكة ، وانحنت الامرأة امام يزيد وهي تبسم له برقة واتجهت نحو الخيمة في اثر شقيقها الا ان النظرة الهائمة الحزينة المؤثرة التي شيعها بها يزيد سحرتها واسكرتها وفتنتها وحركت شعورها وثنتها عن عزمها فوقفت حائرة مفكرة مترددة ، ثم انثنت الى يزيد ومدت اليه يدها وهي تبتسم له بلباقة ورشاقة وعطف وهيام افقده رشده ، فانحنى يزيد باحترام على تلك اليد الرقيقة الناعمة المنجدة التي امتدت اليه لتنتشله من هوة يأسه وعذابه وقبلها بكل ما في قلبه من حرارة وحب وجوى ثم قبلها في وجهها وطوقها بذراعيه وضمها الى صدره بوجد وقوة وحنان كما لو كان يريد ان يمزج قلبها بقلبه وروحها بروحه وانفاسها بانفاسه

فصاح الرجل من شدة الغضب لهذا المشهد وجرد سيفه وهجم على يزيد

يزيد معاقبته على جسارته فخال الحرس دون تنفيذ قصده ، واسندت الفتاة رأسها الى صدر يزيد واشارت الى اخيها بصورة حازمة جازمة ان ينطلق وحده ويتركها في ذلك الملجأ الامين بين ذراعي ذلك الرجل الذي استطاع بعطفه وشرف موقفه تحريك كل جوارح قلبها

وكان الرجل يدعى تيودوميرو ، واخته بروتيلدي وهما من اشراف البلاد ولم يلتق يزيد بابن حميه الا بعد عشرين عاماً في ارض فرنسا في معركة لوار ، حيث اوقف سيف شارل مرتل تغلغل العرب في قلب اوروبا . وعرف تيودوميرو بسقوط يزيد جريحاً وسط المعركة فامر بنقله الى معسكره . وقبل ان يعود يزيد الى وعيه علم تيودوميرو من بعض الاسرى ان اخته تعرف عند العرب بالزهراء وهي تقيم مع اولادها في قصر قرطبة سعيدة مكرمة محترمة وان يزيد لم يتخذ زوجة غيرها . ولما افاق يزيد من غيبوبته لم يقل له تيودوميرو غير هذه الكلمات : أحقيق ان بروتيلدي هي زوجتك الوحيدة

فاجابه يزيد انها هي سبب سعادتي في هذا الوجود ..

فاطرق تيودوميرو مفكراً وابتسم يزيد وهو يلفظ الاية التي كانت سبب عظمة امته وعلة انحطاطها : هكذا كتب !

ومد تيودوميرو يده لمصافحة خصمه القديم وهو يتأوه ويقول : هكذا اراد الله !

(مجلة الشرق) اسكندر كرباج

٢١
في سبيل الحرية

ابوه مستعبد واطلاق حريته يتوقف على مائة دينار ، ولكن من اين له هذه المائة ؟

فكر في امره طويلاً فلم يقف منه على ما يوصله الى غايته فلبث باهتاً وفيما هو ذات يوم جالس في احدى حانات رومة سمع بعض الرومانيين يلهجون بذكر الاعياد التي كانوا يختلفون الى الاحتفال بها في كل عام من الاعوام . ثم بما هو عتيد ان يجري في هذه الاعياد من البراز بين مصارعي الرومانيين ، فلمع في ذهنه خاطر جديد

بدا له ان يمشي الى ساحة الصراع ايام الاعياد ويبارز ثلاثة جبابرة تلك الايام فاما ان يموت واما ان ينتصر فيحوز على الجائزة وقدرها قيمة فدية ابيه

بعد مدة قصيرة كان الروماني الفتى يتمرن على الصراع في احدى مراسح رومة وكان الرومانيون المتفرجون على تمرنه وتمرن غيره من المصارعين الى حزبين . حزب يترحم على شبابه ويسأله ان يعدل عن عزمه في براز من يريد برازهم من الجبابرة . وحزب يدعوه — وقد اعجب بشجاعته — الى التثبت من رأيه ويدعو له بالفوز والانتصار

ان ذلك الروماني كان ماشياً في ما هو ماشٍ فيه الى الموت ولكنه ما كان ليبالي ، كان يعتقد بان حياة ابيه تحت الرقّ هي موت ايضاً . فاما الانتصار حتى تكون لكليهما حياتان واما الانكسار حتى يكون لهما موتان

وماذا تساوي نفس الشاب اذا لم يكن فيها مثل هذه العواطف الشريفة اذا كان الابن لا يبرّ بابيه والصديق لا يبر بصديقه الى هذا الحد · فلا البنوية من جهة ولا الصداقة من جهة ثانية تكونان صادقتين

قد لا يكون في هذا العالم الواسع غير افراد قلائل يعدّون او يستطيعون ان يكونوا في منزلة الابن والصديق الحقيقي ولكي يكتمل هذا القلب البشري ، هذا القلب الذي يعبّأ احياناً بالحنان والحب · يجب ان ينقل قبل كل شيء المروءة والشهامة وفي اعتقادي ان النذل لا يستطيع ان يكون صديقاً

جاءت ايام الاعياد واخذ الرومانيون يتوافدون الى وسط رومة ويتجمهرون في الملعب الكبير ، وما هو الا القليل حتى نادى المنادي بان قد آن وقت الصراع فاشرأبت اعناق الناس الى باب الملعب فاذا بهم يرون رجلين يتقدمان من وسطه ثم اخذا يتعاركان

وانجلى البراز الاول عن فوز ابن المستعبَد

بعد قليل شرع في مبارزة ثانية فانتصر فيها الابن المذكور واعطيت هدنة ·

وبينما كان خدام الملعب يجرّون جثتي الساقطين الى ما وراء الساحة · وكانت جماهير المتفرجين يهتفون للمنتصر هتاف الاعجاب كان هنالك مشهد اخر موثر لم يلتفت اليه احد

الشاب المنتصر — الابن الشريف كان ينظر في قلب تلك الجماهير المتحمسة الى شيخ كبير والابتسامة على فمه · وكان هذا الشيخ هو ايضاً بدوره والدمعة في عينه

انقضت مدة الهدنة وخرج المصارع الثالث الى ابن المستعبَد وهو يسخر بجبروته · ولم يكن على هذا الابن الا ان يسحق هذا الجبار ليستطيع تحرير ابيه

فشدَّ حقويه ومشى اليه ، وكان الناس يودون انتصار الفتى على الجبار ، ولكن ليس كل عمل يوده ُ الناس يكون ، ان الاقدار تمشي في طريقها غير مراعية حر بة فرد او عاطفة جمهور

وتقابل المصارعان ، فالتويا على بعضهما ، ثم انجلى الغبار عن رجل في يده فأس تقطر دماً وعن جثة مضرجة ، وقبل ان يأ تي الخدام ليجرُّوا هذه الجثة الى حيث جرُّوا رفيقتيها من قبلها ابصر الناس شيخاً هماً يشق الجمهور الى ان وقف فوقها ، ثم اشار الى الخدم ان يتوقفوا عن جرّها

وقبل ان يبسط الموت جناحيه لينزع روح ذلك الشاب الساقط منتزعاً معها ثلثي حرية ابيه فتح هذا الشاب عينيه وكان ابوه قد فتح فمه ليقبله بهما فأغبأ من فم ابيه دموع عينيه ، ثم ان فم ابيه اغب من عينيه دم فمه

و كانت هنيهة موءثرة خيم بها السكون على الناظرين لتتمكن العبرة من الدخول الى النفوس بهدوء وطمأنينة

ثم ان الولد جمع بقيـة ما في نفسه وقال وهو ينظر الى ابيه : قـد خانتك الاقدار يا ابي ، فحدّق والده به ولم يجبه بشيء

على ان صوتاً قوياً دوى من وراء الوالد قائلاً : ايها التعيس ان الاقدار لم تخن اباك وحده بل هي تخون جميع الرومانيين ، فليسقط قيصر

وحدث اذ ذاك ما لم يكن في الحسبان ، لان الجنود ركضت من كل جانب لتلقي القبض على صاحب الصوت ، واراد هذا الرجل ان يدافع عن نفسه فسقط صريعاً الى جانب الشاب الساقط (السلام)

٢٢
انتصار الحب

في شربورغ احدى مدن فرنسا الجميلة يعيش جان مورا قائد اركان الجيش الافرنسي في مقاطعة النورماندي مع فتاة وحيدة له في الثانية عشرة من عمرها تدعى جانيت ، حباها الله قسطاً وافراً من الجمال وحباً نضيراً كالبدر وثغراً يفتر عن ابتسامة عذبة

ارسل القائد جان مورا ابنته هذه الى اشهر جامعة في باريس لتنال فيها الشهادة العليا في العلوم والآداب وكثيراً ما كان يزورها هنالك حاملاً اليها الهدايا الثمينة ومزوداً اليها بنصائحه الابوية النفيسة

ولدت جانيت من عائلة شريفة فنشأت طيبة القلب شفوقة لا تتوانى عن مساعدة البائس ولم يكن فرط جمال خَلقها الا ليزيد في جمال خُلقها فاكتسبت مع حب زميلاتها لها ثقة رؤسائها بها . واتفق ان كان في تلك الجامعة المسيو لويس اوليفار ابن صاحب احد معامل ليون الحريرية الكبرى يستعد في سنته الاخيرة للحصول على شهادة الحقوق فتعرف على جانيت واخلص لها الحب لاول مرة وقع نظره عليها واحبته هي ايضاً لفرط ذكائه وما آنسته فيه من حسن الاخلاق . مضت ايام واذا بحبهما اضحى هياماً وغرامهما عبادة . واعتاد لويس ان يخرج بعد ظهر كل يوم احد مع معبودته جانيت الى ضواحي باريس حيث الجنائن الغناء فيقضيان الوقت في سرور وهناء . وصفا لهما الدهر زمناً ليقوي في قلبيهما روابط الحب وينعش في نفسيهما

احلام الشباب الثائر . فبعد ظهر يوم احد خرج لويس حسب عادته مع جانيت واخذ معه بريده ليطالعه بعيداً عن ضوضاء باريس وغوغائها اما جانيت فاخذت جريدة كانت تأتيه من عند والده وابتدأت تتصفحها ريثما ينتهي لويس من قراءة بريده . وفيما هما على هذه الحال رأت جانيت اسم والدها باحرف بارزة فوق مقال طويل فالتفتت حالاً الى لويس وقالت له بيهجة وسرور « الا انظر اسم والدي تتناقله الصحف » ثم اخذت تطالع المقال فاجاب لويس وهو لا يزال يطالع رسالة في يده انه ليس بغريب ان تذكر الصحف اسم احد قواد فرنسا العظام . ثم نظر اليها ليسرق منها ابتسامة شكر واذا بها مصفرة الوجه مغمياً عليها قابضة على تلك الصحيفة التي جاءت فيها هذه العبارة المشؤومة « جان مورا متهم بخيانة وطنية كبرى » . . .

. . . .

في صباح يوم ٢٠ اكتوبر سنة ١٩١٥ قدم جندي الى المجلس العسكري في شربورغ تحريراً من جان مورا الى احد اصحابه من قواد الجيش الالماني مملوءاً باسرار الجيش الافرنسي وتعليمات وافية عن الاستعدادات البرية والجوية

ان في هذا التحرير اكبر خيانة وطنية يمكن ان تصدر عن رجل عهدت اليه قيادة الجيش بخيانة فظيعة يستحق فاعلها الاعدام بلا شفقة ولا رحمة . وللحال ارسل المجلس العسكري قوة القت القبض على القائد جان مورا واستحصل على امر من القيادة العليا في باريس بتجريد الرجل من القابه الشرفية مع مصادرة املاكه ومحاكمته صباح اليوم الاول من شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ محاكمة عسكرية

اهتزت الاسلاك البرقية واضطربت فرنسا بكاملها لهذه الفضيحة التي

وقعت عليها وقوع الصاعقة لما كان لجان مورا من التضحيات العديدة في سبيل وطنه ونظراً لانتصاراته الباهرة في اشد المواقع الحربية ذوداً عن امته· وراحت الجرائد تعقد الفصول الطوال كل منها تكتب ما اوحى اليها خيال محرريها الواسع

في صباح اليوم الثاني من الحادث ركبت جانيت القطار الى شربورغ حزينة القلب كئيبة ، فوصلت مساء ، وذهبت تواً لزيارة والدها ·واين·· في السجن حيث الفته بائساً مقطب الجبين بين الخونة والمجرمين بعد ان تعودت رؤيته في قصره الفخم فرحاً بشوشاً يأمر وينهي بدون مراجعة ، لقد كان لعمري مشهداً كئيباً يفتت القلوب اسى ويذيب الافئدة شفقة ··· بكى جان مورا نجم سروره الآفل وندبت جانيت سوء طالعها وضياع امالها فخرجت من عند والدها ثائرة العواطف فاقدة الرشد وقصدت رئيس المجلس الحربي واستحلفته بحق حبه لاولاده واوطانه ان يأذن بمحاكمة والدها المسكين البريء محاكمة مدنية، فسكن الرئيس روعها ووعدها باجابة طلبها ، فخرجت من عنده شاكرة له عطفه وحنانه

ولكن أنى لهذه المسكينة ان تجد من يرافع عن والدها المتهم بمثل هذه الخيانة الوطنية الكبرى ! ··· اجل تراجع المحامون ولم يتقدم منهم الا شخص يدعى جول ركليز انتهز الفرصة ليتحبب اليها

مضى على الحادث زمن غير وجيز تمكنت النيابة العامة خلاله من اخذ افادة الجندي الذي ادعى بانه عثر على تحرير الاتهام على مكتب القائد واخذ افادة باقي الجنود الذين كانوا في الوظيفة ذلك اليوم وهيأت باقي اوراق الدعوى وقدمتها الى المحكمة لاثبات التهمة ، اما جان مورا فقد كان جوابه

الوحيد على اسئلة القضاة وعبارته الوحيدة التي كان يدافع بها عن نفسه ضد الشهود هتافه المتواصل « انا بريء » اخيراً القت النيابة مرافعتها وعقبها جول ركليس بدفاع واهٍ لا يستند على اية مادة من القانون ولا على ادنى برهان حسي لمصلحة المتهم لانه لم يكن البتة يهتم لهذه القضية ، ثم خرج القضاة الى غرفة المذاكرة ليبتوا في الامر ويصدروا قرارهم فيه اما باعدام ذلك المسكين واما بالعفو عنه

وبينما كان القضاة يستوحون ضمائرهم فاجأتهم جانيت ابنة المتهم وبيدها برقية وصلتها من لويس اوليفار يسألها ان تطالب بالحاح تاجيل الدعوى وتوقيف السير في القضية لمدة اسبوع ، لانه قد حصل على شهادة الحقوق ويود ان يرافع هو بنفسه في هذه القضية ويجعلها باكورة مرافعاته واعماله . فقدمت جانيت الى القضاة تلك البرقية متوسلة والدموع تترقرق من عينيها وحيث لم يكن هناك من مانع شرعي قرر القضاة تاجيل الدعوى ريثما يحضر لويس المذكور

نال لويس اوليفار شهادة الحقوق بتفوق باهر على سائر زملائه وركب للحال القطار الى شربورغ وتوجه رأساً الى بيت جانيت . ولكن انى له معرفة جانيت بعد ان تبدل تورد خديها الى اصفرار هو مرآة لقلبها المكسور وانقلب بريق عينيها الى ظلام يشف عن نفسها الحزينة واعترى جسمها سقام اذاب نضارتها واذبل زهرة شبابها اجل اين جانيت الامس الطروب من جانيت اليوم الباكية ؟ اين ذهبت احلام الشباب وآماله الواسعة ؟ اين ابتسامة الدهر لها بالامس من غدره اليوم ؟

ان مجيء لويس اليفار الى شربورغ كان بعثاً لآمال جانيت ومفرجاً لكربها اذ عرف كيف يعيد الامل الى نفسها ويخفف عنها احزانها ويبشرها

بفرح قريب ، ذهبت جانيت مع لويس الى بيت وكيلها جول ركليس الذي صعق لهذا الامر الذي لم يكن ينتظره ، كيف لا وبقدوم لويس خيبة لمطامعه السافلة وخطته الجهنمية قصور واحلام بناها في ايام واسابيع فتحطمت وتهدمت في ساعة واحدة ولم يسعه الا تسليم اوراق القضية الى لويس بناء على طلب موكلته جانيت

قضى لويس ليلته بكاملها دارساً قضية المسيو جان مورا بدقة وامعان وفي صباح اليوم الثاني توجه الى دائرة النيابة طالباً اوراقها ليتمم دراسته وابحاثه وبعد ان كان له ما اراد هاله تقصير جول ركليس في درس القضية وقلة اهتمامه بتبرئة موكله وداخله الريب في شان جول المذكور وتوجس ان يكون له ضلع في الاتهام فكان كلما تعمق في درس القضية اصبح شكه حقيقة وايماناً وظهرت له براهين جديدة ، واخيراً جد البحث في هذه النقطة الهامة وحصر فيها جميع قواه العقليه الى ان تمكن من ايجاد تشابه عظيم في الخط بين كتاب الاتهام الذي قدمه الجندي الى المجلس العسكري وبين اوراق ملف القضية المكتوبة بخط يد جول نفسه

لقد كان يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٥ موعد للجلسة الاخيرة بقضية جان مورا ولم يكد قاضي القضاة يعلن افتتاح الجلسة حتى انتصب لويس وطلب توقيف جول ركليس واتهمه بتدبير المؤامرة ضد المتهم القائد جان مورا وقدم اثباتاته وبراهينه التي اكتشفها بعد درسه العنيف وبحثه الدقيق وفي الحال طلب الجندي الذي قدم كتاب الاتهام لاخذ افادته ثانية فلما سمع هذا الاخير التهمة ضد جول ارتبك ولم يستطع ان ينبس ببنت شفة وظهرت على محياه امارات الاضطراب والذعر الشديدين

احب جول ركليس الانسة جانيت مورا عند ما وقع نظره عليها في مدينة شربورغ قبل ذهابها الى الجامعة وكاشفها مراراً بحبه فما كان يلقى منها الا الاعتراض التام ولكنه كان يعلل نفسه باغرائها مع طول الزمان وشراء قلبها بالمال والحلى حتى علم اخيراً بعلاقتها مع لويس وبحبهما المتين المتبادل فقطع كل امل منها واشغل فؤاده بلهيب الغيرة المحرقة التي كانت تشتد عواملها مع توالي الايام حتى خامرته فكرة مريعة عمد الى تنفيذها انتقاماً لغرامه الفاسد

يفيد العلم اذا ما استعمله صاحبه للفضيلة والمنفعة العامة ويضر اذا ما استعمله للوقيعة والشر ، اما جول ركليس فقد اتخذ علمه واسطة لتدبير هذه التهمة الفظيعة ضد جان مورا والايقاع بعائلة من اشرف عائلات فرنسا واعرقها نسباً والاضرار برجل اشد ما كانت حاجة فرنسا الى خدماته في تلك الايام التي كانت تراق فيها دماء البشر مدراراً فزور تحريراً بامضاء جان مورا كما سبق مقلداً خطه تمام التقليد ودفع به الى الجندي بعد ان انقده مبلغاً كبيراً من المال ليسلم هذا التحرير الى المجلس العسكري

ما كان اعظم دهشة القضاة وجميع من كانوا في قاعة المحكمة عند سماعهم لويس يلقي التهمة غير المنتظرة على ركليس خصوصاً وقد ثبتت التهمة ضد جان مورا ، وطلب لويس من هيئة المحكمة تعيين لجنة خبراء لفحص كتابة يد كل من وكيله والمتهم الجديد جول ومقارنة كتابة تحرير الخيانة بين خطيهما وكذلك طلب لويس بصمات اصابع جول للتحليل

لم يسع هيئة المحكمة ازاء هذا الاتهام الخطير ومطاليب لويس اوليفار القانونية المعقولة سوى اعادة النظر في القضية وتعيين اللجنة المذكورة وارسال تحرير التهمة الى محل التحليل فظهرت اثار واضحة لبصمات اصابع جول

ر كليس عليه ولم يظهر اثر لبصمات اصابع جان مورا

على الباغي تدور الدوائر — ان المؤامرة التي دبرها جول ضد القائد جان مورا جاءت شراً ووبالاً عليه لان الجندي بعد ان يئس من الخلاص ولم يعد لينفعه الانكار اعترف امام المحكمة ببراءة جان مورا من التهمة واستلامه التحرير من جول الذي نقده مبلغاً وافراً من المال ووعده بمساعدته للحصول على رتبة عالية في الجيش ان هو شهد ضد القائد وكتم سر استلامه التحرير منه

فحكمت المحكمة بعد اثبات التهمة على جول بالسجن خمسة عشر عاماً مع الاشغال الشاقة وحكمت ايضاً على الجندي خمسة اعوام لاشتراكه في المؤامرة وبرأت ساحة جان مورا واعادت اليه املاكه ووظيفته والقابه الشرفية وزينته بلقب جديد « كوماندور في اللجيون دونور »

خرج ذلك القائد الباسل طاهر الذيل ناصع الجبين من سجن زاده شرفاً واول ما فكر به اعترافاً منه بجميل منقذ حياته وشرف عائلته تقديم هدية تليق بعظيم صنعه ، ولم يجد هدية اثمن من ابنته وفلذة كبده الوحيدة جانيت ، تلك كانت امنية لويس الكبرى ومطمحه في الحياة

(جريدة فلسطين) ر ٠ م

احد اعضاء نادي التمثيل الحيفاوي

ملاحظة للكاتب : هذه القصة خيالية بحتة لا تمت حوادثها بادنى صلة للتاريخ

٢٣

الجمال الذى يعجب الزوج

الدث جريجوري فتاة وحيدة لوالديها نشأت في كنفهما على اقوم المبادىء ونالت قسطاً وافياً من العلوم الا انها كانت نفورة من معاشرة الناس ، قليلة الكلام تميل الى العزلة في منزل ابويها وتقضي اوقاتها بين طبخ واعمال منزلية ومطالعة . وبديهي ان من كانت كذلك لا تكترث للزينة ولا تهتم للازياء . اما المساحيق والادهان فانها لم تكن تدري بوجودها . وقد زاد طينها بلة ان الطبيعة لم تمنحها من معاني الجمال ما يغنيها عن وسائل التحسين والتجميل فقد كانت طويلة القامة نحيلة الجسم كبيرة القدمين ذات شعر كستناوي متناثر على كتفيها بلا نظام ، وليس فيها من معاني الجمال سوى عينين زرقاوين باهداب طويلة كثيفة تلقي ظلا على خديها الضامرين وعلى الجملة فقد كانت هيأتها كطفلة كبيرة نشيطة لا تهدأ حركتها في البيت بل تقوم باشق الاعمال وتجيد الطبخ الى حد مدهش

وظلت كذلك الى ان بلغت سنتها التاسعة عشرة فلم يكن من يرمقها بنظرة استحسان حتى ان اباها انف من منظرها على تلك الحال من السذاجة الفطرية وتجردها من اللباقة والكياسة التي تزين سائر النساء وعبثا حاول ان يطبع على وجهها معنى الهشاشة والرقة ، وان يخرجها من عالم الصمت والجمود واخيراً ارتأى ان يجد لها وظيفة في احد المحال التجارية امل ان تعود معاشرة الناس

فتصقل اخلاقها وتكتسب لطفاً وايناساً ، وقد امنت زوجته على هذه الفكرة ورجت من ورائها خيراً لابنتها

واتى الاب يوما يقول . لقد وجدت وظيفة لأديث في محل للازياء النسائية بشارع بوند تتمرن فيه على اساليب البيع ومعاملة الزبائن

فجحظت مقلتا الفتاة رهبة ونفوراً وقالت : — كلا ، كلا لا استطيع قبول هذه المهنة لانها تحتم علي معاشرة الغرباء فيسخرون مني

الا ان الاب لم يصغ اليها بل استعان هذه المرة بنفوذه الوالدي وحتم عليها الاذعان لارادته . فلما كان اول الاسبوع امرها بان تتأهب للذهاب معه فارتدت ثوباً اسود وعقصت شعرها بشريطة وسارت الى جانبه بخطوات مضطربة الى محل دولسينا بشارع بوند وكان صاحب المحل صديقاً لابيها فرحب بهما وادخل الفتاة الى ما بين العاملات . وذاقت الديت في الاسبوع الاول الامرين من الخجل والجبن ، ولم تكن تصلح الا لنفض الغبار عن الملابس والقبعات فاذا رأت احداً ينظر اليها انكمشت حياء وخوفاً من ان يهزأ بها

وساعدها الحظ بان وجدت بين رفيقاتها العاملات فتاة لطيفة تدعى روما جعلت تشجعها وتدربها على العمل فانست بها وزال شيء من وحشتها . وكانت روما شابة جميلة الطلعة عذبة الحديث جذابة الملامح فكانت الديت تنظر اليها باعجاب وتصغي لارشاداتها بملء سمعها وبصرها

ورأتها يوماً متوارية وراء البضائع وامامها مرآة تنظر فيها وهي تنتف زوائد الشعر من حاجبيها حتى جعلتها في خط متساوي الثخن كالقوس . فدنت الديت منها وسألتها متعجبة

— لِمَ تفعلين هذا

فضحكت روما وقالت : لكي اكون جميلة

في تلك الساعة دعيت روما الى تادية بعض الاعمال فاسرعت طائعة وتركت ادوات زينتها حيث هي . فجلست الديت مكانها واخذت تقلدها بنتف حاجبيها . فلما عادت تلك ورأت التغيير الذي حدث في شكلها هتفت استحسانا وشجعتها على المضي فى استيفاء تجميل وجهها . فما لبثت بعد ايام قليلة ان تبدلت ملامحها وزالت معالم البساطة والخشونة منها وذهبت الحمرة باصفرار خديها وشفتيها وبرزت قامتها النحيلة في اجمل قالب بفضل الثياب المحكمة الهندام التي انتقتها لها رفيقتها ، فاصبحت مرمى الابصار . وكانت روما توالي الثناء عليها حتى انها قالت لها يوماً :

— انك تشبهين جاربو

— ومن هي جاربو هذه ؟

هي احدى كواكب السينما واجملهن طلعةولا ينقصك الا قليل من العناية بنفسك حتى تكونين مثلها تماماً . واني انصح لك بان تذهبي الليلة الى الامبير وتشاهديها

لم تتردد الديت في العمل باشارتها بل ذهبت مساء الى دار السينماوجعلت تراقب الممثلة باعجاب وتدرس حركاتها وسكناتها فرأت فيها ما طالما تخيلته من جمال الشهيرات اللواتي قرأت عنهن في التاريخ

وفي اليوم الثاني حينما فرغت من عملها مساء ذهبت الى مزين مشهور تحمل اعلانا فيه صورة الممثلة جاربو ، وقالت لصاحب المحل . اريد ان تقص شعري مثل شعر هذه

وللحال باشر المزين عمله من قص وتضميخ وكي ، حتى اذا اتم مهمته

نظرت الديت في المرآة فاثلج صدرها فرحاً واطمئناناً لانها ايقنت انها اصبحت جميلة فتانة

وكانت دهشة رفيقاتها عظيمة حينما ابصرنها في صباح اليوم الثاني ولم تتمالك صاحبة المحل وزوجها عن ترديد عبارات الاعجاب والثناء عليها اماوالداها فقد كان ابتهاجهما بها فوق ما يستطيع القلم ان يصفه

واصبح كل من يرى الديت يقول : ما اشبهها بجريتا جاربو فقد كان لها عيناها وجمالها الصامت الذي ينطق بافصح لسان . وزادت على ذلك بان اخذت عنها حركاتها وسكناتها وقلدتها بمشيتها ولفتاتها وجرت على منهاجها في الاصغاء والابتسام والسرور والغضب حتى اصبحت اشبه بها من الليلة بالليلة

وطار صيت الديت في محيطها والتف حولها الشبان كالهالة وكل يتمنى رضاها وكان اسعدهم حظاً تيدي شقيق صديقتها روما فقد تعرف بها في ليلة راقصة ومنذ تلك الساعة عقدت اواصر الصداقة بينهما

....

ومضت الايام والشهور والديت تزداد رشاقة ولباقة والحب يزداد رسوخاً بينها وبين تيدي حتى لم يعد يستطيع احدها فراق الآخر يوماً كاملا . ومع ذلك لم يبح احد منهما للاخر بمكنون فؤاده وانما كانت نظراتهما تتكلم وهما صامتتان يلهوان بشتى الاحاديث ما عدا حديث الحب وكثيراً ما كانت الديث تتسائل عن سبب تكتم تيدي وهي تعلم حق العلم انه يعبدها حباً فعلامَ لا يطلبها زوجة واخيراً رجحت ان له سراً دفيناً يحول بينه وبينها وربما كشفته لها الايام

وحدث ان دعاها تيدي يوماً الى نزهة خلوية وكثيراً ما كان يفعل ذلك فخرجت في صحبته وكانت على ابهى زينة وفي اجمل زي · فزادها ذلك جمالا زعزع قوى تيدي وثباته فهتف قائلاً

– احبك يا الديث ثم مال نحوها وقبل شعرها فخفق فؤاد الديث سروراً وهياماً ونظرت اليه نظرة تضمنت مجلدات من آيات الحب الصادق اما هو فلم يلبث ان تراجع خجلاً وقال · عفوك ، عفوك يا صديقتي ما كان يجب ان اقول ذلك

– ولماذا يا تيدي ؟

– لاني لا استطيع ان اقترن بك ، فانت لست الفتاة التي انشدها زوجة نعم اني احبك ، صدقيني ، اني اهيم بك ، واتمنى لك حظاً سعيداً مع زوج يليق بك ويمكنه ان يقوم بجميع احتياجاتك ويغمرك بخيراته ويحيطك بانواع الرفاهية والبذخ وكما تطلبه نفسك التواقة الى الملذات والولائم والحفلات اما انا فاني اريد من زوجتي ان تكون صديقتي ومعينتي وشريكتي في السراء والضراء ، ان تكون عارفة بواجباتها الزوجية والمنزلية فلا تأنف من ادارة بيتها والاهتمام لشؤون اسرتها · اما انتِ فكيف ارجو منكِ ذلك ؟ وهل لهاتين اليدين البيضاوين ذات الاظافر المطلية ان تتحمل عناء الطبخ ؟

وساد الصمت بضع دقائق بينهما كانت الديث في اثنائها مشردة الفكر والنظر يتنازعها عاملا الحب والانفة فلا تدري ماذا تفعل · وكيف يمكنها ان تقول : انها المرأة التي يطلبها · وان اقصى رغائبها هي ان تسير واياه يداً بيد في مجاهل الحياة الساذجة البعيدة عن ضوضاء المدنية وزخارفها · واخيراً حولت وجهها شطر الطريق وانطلقت نحو منزلها دون ان تنبس بكلمة

ولما بلغت الى مخدعها نظرت في المرآة وتأملت محياها الجميل وشفتيها المطليتين بالاحمر وحاجبيها المقوسين المكحولين وشعرها المصفوف حلقات فوق جبينها الناصع · فعبست وصاحت بصوت متألم : يا للزينة القبيحة ·· اني امقتكِ احتقركِ · لقد كلفتني تعباً واهتماماً عظيمين بغية ان اظهر بك جميلة فاذا بكِ قناع مستعار يعلم الكل ما وراءك من حقائق · وما من يجهل انكِ عنوان النفاق والخداع والرياء · ثم ابتعدت عن المرآة غضبى وانطرحت على مقعد وجعلت تبكي نادبة سوء حظها

ومضى اسبوع لم ترَ فيه الديت تيدي وانما شقيقته اخبرتها ان بعزمه السفر الى شمالي افريقيا في الربيع القادم

وفي احد الايام بينما كانت الديت عائدة الى البيت من عملها · ابصرت تيدي واقفا امام باب منزله تلوح عليه لوائح الحيرة والقلق

— فوقفت وسألته قائلا :

ما بكَ يا تيدي ؟

— فاجابها بلسان متلعثم: اني واقع في ورطة لا اجد سبيلا الى الخروج منها فان اسرتي متغيبة عن البيت لمدة اسبوع وامس خرجت الخادمة لان امها مريضة

— واي اهمية لذلك

— لقد دعوت صديقي المستر جراهم وزوجته للعشاء الليلة ولا يوجد عندي من يطبخ الطعام · افتظنين ان والدتك تسمح لي بخادمتها هذا المساء ؟

— لقد خرجت خادمتنا اليوم لانه يومها من الاسبوع

— ويلاه · لم يبق امامي الا ان احيكَ كذبة فاقول لصاحبي اني عيت

للسفر فجأة ... على ان هذا امر قبيح

— لالا تفعل شيئا من ذلك بل دعني اساعدك ان الانسان مهما كان قليل المعرفة فقد يمكنه ان ياتي بفائدة احيانا . ثم صعدت امامه درجات السلم واتجهت تواً الى المطبخ . فرأت مئزر الخادمة معلقاً وراء الباب فتناولته ووضعته فوق ثوبها الاسود ونظرت الى الاشياء التي كان اشتراها تيدي من لحم وسمك وخضر فنبهته الى ما ينقصه ايضا واشارت اليه بابتياعه . ثم بدأت بتنظيف السمك والدجاج بعد ان اوقدت النار . ولما عاد تيدي شم رائحة المرق الى الخارج وابصر الديت منهمكة في تنظيف المائدة وترتيبها . فوضع الاشياء التي يحملها ووقف ينظر اليها دهشاً من رشاقتها واتقانها اعمال المنزل ثم صاح :

— ألديت سامحيني . سامحيني بالله

فابتسمت له وقالت : هل تعلم اين نضع والدتك غطاء المائدة ؟

فاسرع وناولها اياه فقالت له اقطع البطيخة الى اربعة اقسام وضعها في الثلاجة ثم هيأت المائدة وزينتها بما حضر من الازهار . وصفت اطباق الفاكهة على المقصف ولما تم لها ما ارادت من طبخ وترتيب ارادت الانصراف فجعل تيدي يتوسل اليها بان تبقى الى العشاء فقبلت بعد التردد الطويل على ان تذهب الى بيتها وتستبدل ثوبها بآخر يليق للسهرة

وبعد ربع ساعة عادت ترفل بحلة حريرية زرقاء وقد تعطرت وتزينت بابهى زينة فبدت كانها ملكة تجر اذيال العظمة

فوقف تيدي هنيهة ينظر اليها مأخوذاً بانتقالها الفجائي من حال الى حال ثم تناول يديها وقال

انظري اليّ يا الديت ... هل تحبينني ؟

فاحمر وجهها وتكسرت اجفانها وجعلت الدنتلة ترتعش فوق صدرها الخافق فكان ذلك ابلغ جواب فاردف تيدي قوله

-- هل تقبلينني زوجاً لك ؟

— كيف ذلك ؟ وهل نسيت اني لست المرأة التي تنشدها

سامحيني يا حبيبتي فقد كنت مخطئا باعتقادي فيك ، ولقد ذقت في ايام بعدك عذابا جعلني ادرك مقدار حبي لك فانا اهواك كيف كنتِ ، سواء اجدت الطبخ او جهلته · وسواء كنت ربة بيت او سيدة المجتمعات فانا اهواك وكفى

— اذا كان الامر كذلك فلك ان تعدني خطيبتك اذن

(فتاة الشرق)

٢٦

الشهامة

كان ديمتري يتيم الوالدين ويتيم الاهل لا مأوى له ، غلام لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره يشتغل عند ما يجد عملاً ويستعطي حينما لا يجد مكسباً

اوشك الليل ان يرخي سدوله المظلمة وفي تلك الليلة كان يزاول صناعة الشحاذة فيرى نائماً في ازقة وشوارع احدى قرى مدينة بتروغراد عاصمة الامبراطورية الروسية لا يجد من السكان ما يرضيه ولو قطعة من الخبز اليابس يسد بها رمقه فظل هائماً على وجهه لا يعلم اين تقوده قدماه — وعند ما احس ببرودة الليل افاق من غفلته فوجد نفسه امام منزل بستاني

فعند افتكاره بانه سيقضي الليل بطوله و ببرده في الطريق هاله هذا الفكر فجازف بنفسه ودخل المنزل من الحديقة التي اوصلته الى مكان النباتات التي لا تنمو الا في البلاد الحارة لذا كانت تتطلب الدفء والحرارة وكان الموقد مشتعلاً طوال الليل والنهار والغرفة مفروشة بالتبن فلقي ديمتري ما سره فانطرح على التبن ونام نوماً عميقاً

وبعد ساعات قام البستاني «بوريس» كعادته ليتفقد نباتاته ووسائل الدفء لان انطفاءها يسبب له خسائر كبيرة فسار بقنديله الكبير يطوف جميع مواضع النباتات وكان يهم بالخروج من اخر موضع الا ان صوتاً خفيفاً اوقفه. فتوجه الى مصدر ذلك الصوت فوجد ديمتري الفقير نائماً وقشعريرة البرد آخذة منه لهول ما قاساه من جوع مدقع ومن برد قارس فايقظه البستاني وسأله عن سبب مجيئه الى منزله فقص ديمتري قصته المحزنة والدمع يترقرق من عينيه خوفاً من ان يطرده خارجاً والبرد لم تخف وطأته بعد فاخذت الشفقة والرحمة ذلك البستاني واخذه الى منزله واطعمه واعطاه فراشاً وغطاء كي يقضي بقية الليل وقال له:

نم يابنيّ مطمئناً وغداً ساهتم بك. وفي صباح اليوم التالي سأله البستاني عما يود ان يفعل فاجابه ديمتري قائلاً كعادتي سأجتهد بكسب كسرة من الخبز تسد رمقي. فقال له البستاني اسمع يا بنيّ انت كبير وقوي وسيماء النباهة والذكاء تتجلى في وجهك اتريد ان تبقى معي بصفة مساعد بستاني تعيش محتمياً من المجاعة وعلاوة على ذلك تتعلم كيف تكتسب قوت يومك بمهنة شريفة

فاجابه: نعم اريد يا سيدي انت تنقذ حياتي وتناول يده وقبلها وبللها بدموع الفرح. وبعد اشهر عند ما تمرن ديمتري على العمل صار لبوريس

مساعداً ثميناً يشتغل بكل حرارة وبقوة لا تعرف الكلل وكان ذا ذمة حتى ان بوريس كان كبير الثقة به . مضت على ذلك ثلاث سنوات ثم دهم شتاء قارس تساقط فيه ثلج كثير حتى خيف من الفيضان

ففي احد الايام قال ديمتري لبوريس يا سيدي زيادة في الحرص الاوفق ان نضع النباتات فوق سطح المنزل فاذا حصل فيضان لا يصل الماء الى النباتات وبعد التفكير لقي بوريس ان فكرة ديمتري معقولة فاستحسنها وامر بوضع جميع النباتات فوق سطح المنزل

وفي احدى الليالي ارسل بوريس ديمتري الى قضاء عمل بعيد ولما كانت الثلوج متراكمة في الازقة والطرقات عول ديمتري على المبيت في المكان المتوجه اليه على ان يعود في الصباح بعد قضاء حاجاته

وفي الليلة نفسها استيقظ السكان على صوت قرقعة ودوي مخيف كان ذلك علامة ابتداء النكبة لان مياه نهر «النيفا» كسرت السدود واكتسحت كل شيء واصبحت القرية شبه جزيرة في بحيرة فعلا الصراخ والعويل وعندما اشرقت شمس النهار زادت تلك النكبة جلاء وكان السيل يعدو بسرعة فائقة ويجرف كل ما وجده امامه من اكواخ واثاث ثم هبت عاصفة قوية فاخذ الموج يتلاطم ويكتسح كل ما مر امامه واخذ العويل والبكاء يزداد وكل يطلب النجدة وكم من شاب دفعته النخوة والمروءة لنجدة الغرقى فكانت الامواج تكتسحهم فيذهبون شهداء المروءة والنخوة والشهامة وسمعت بغتة اصوات جديدة من سطح احد المنازل فاتجهت الانظار الى منزل غمره الماء ووجدوا على قمة مدخنته امرأة حاضنة اولادها الثلاثة وشيخ هرم قد وصلت المياه الى ركبتيه فقال الجميع بصوت واحد ، سيهلكون سيهلكون ولكن ما من شاب

ولا من رجل حملته الشهامة لخوض ذلك الخطر الداهم لان فيه الموت المحقق

واذا بغلام لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره ركض بكل ما اوتي من قوة واقتحم الجمع الواقف على اكمة عالية لم تكن قد وصلتها المياه ·ووثب لحينه في زورق واخذ في التجذيف

فصاح الجميع ماذا تريد ان تعمل و يل لك ان فيه الموت المحقق تبصر قبل مخاطرتك بحياتك فصاح فيهم هـذا بوريس سيدي والمحسن اليَّ ومعه امرأته واولاده اني سابذل حياتي في سبيل نجدتهم فقالوا له ستهلك قبل ادراكهم تروَّ في الامر

فلم يبالِ ولم يصغَ اليهم بل اخذ في التجذيف بكل ما اوتي من قوة مخترقاً قطع الثلج التي تكاد تكسر الزورق وحينئذٍ تضاعفت العاصفة ولكن ديمتري كان يجذف دائماً باذلاً نفسه في سبيل خلاصهم و بعد مجهود عظيم وبعد ان خارت قواه وصل الى حافة المنزل · فنزل الجميع الى الزورق واخذ بوريس وديمتري يجذفان الى ان وصلا الى موضع النباتات وهنالك وجدا ذلك الموضع الدافئ خير وسيلة لهما

حينئذٍ ترامى ديمتري على ذراعي بوريس ودموع الفرح تملأُ عينيه فقال له بوريس لقد خلصتنا جميعاً فبماذا اكافئك على جميل صنعك هذا وعلى شهامتك

ثم اشركه في اعماله مكافأةً له على شهامته وجعله بمقام ولده البكر

عن مجلة الايكو الافرنسية — عربها الياس صوفان

٣٥

ليلة عيد الميلاد

تسكن باحدى الغرف من المنازل التي تكثر بالحي الفقير من مدينة لندن ارملة متشحة بالسواد لم تبلغ بعد الثلاثين ربيعاً من عمرها كانت متكئة على المنضدة والدموع تسيل من مآقيها

فهي تبكي زوجها الذي مات شهيد الوطن تاركاً لها ابناً يدعى جيمي لم يبلغ الاثنتي عشرة سنة من عمره

كانت ليلة ٢٥ كانون الاول وليلة عيد الميلاد والناظر لمدينة لندن ينبهر من الانوار الساطعة الخلابة الاخاذة بمجامع القلوب فكانت الزوجة تبكي فقيدها وحالتها فمن بعد ان كانت في رغد من العيش قد نزلت الى الحضيض والشقاء فكانت تفكر ايضاً في ولدها جيمي الذي لن يجد عشاء ولا العاب العيد كمثل باقي الاولاد فكانت تلك الافكار تزيدها كآبة و كدراً

في الوقت نفسه كان ولدها جيمي سائراً في افخم شوارع العاصمة مرتدياً ثياباً تدل على فقره المدقع لافاً عنقه بشال بال قد افناه الدهر واضعاً يديه وراء ظهره ومتجهاً الى مخازن الالعاب فيحدق بنظره الى المعروضات التي كانت بالواجهات والتي لن ينال منها شيئاً وتارة ينتقل الى المطاعم مستنشقاً روائح المأكولات الشهية التي طالما اشتهاها

قال جيمي في نفسه ، لا يوجد لدينا عشاء لهذا المساء ولكني سأظهر

لوالدتي الحنون اني لست بجائع كي ارضيها قليلاً وأواسيها ولو ان احشائي تكاد تتمزق جوعاً . قال ذلك وابتعد عن المطعم

وبينما هو متجه الى منزله وقع نظره على مائدة موضوعة على قارعة الطريق ملأى بالازهار والرياحين والفواكه عندئذٍ هبّ هواء قوي لم يدم الا قليلاً ولكنه قذف ما كان موجوداً على المائدة الى الارض فركض جيمي واخذ يلتقط الاشياء التي قد بعثرها الهواء ويضعها على المائدة وما كاد ينتهي من عمله حتى نظرت اليه البائعة بوجه باش وبعينين ملؤها العطف والحنان وقالت له : اني اشكرك يا بنيّ على جميل صنعك وعلى مساعدتك القيمة لي فاختر ما يحلو لك من الموجود على المنضدة . فابرقت عيني جيمي فرحاً وسروراً واخذ يحدق بنظره الى الفواكه الطازجة الجميلة ولكنه يمم نظره نحو باقات الزهر وقال للبائعة ، هل تتكرمين عليّ بباقة من الزهر يا سيدتي ، فقالت له البائعة ، باقة من الزهر ولماذا يا بنيّ ، فقال لها ، كي اقدمها لوالدتي الحزينة بمناسبة العيد فاجابته قائلة ان تلك الباقة التي وقع اختيارك عليها ليست اهلاً لمثلك لانك تستحق احسن منها — هاك باقة من الورد قدمها لوالدتكَ واهديها سلامي واحترامي وتهانئي بالعيد السعيد ، وعند ما اراد ان يذهب اعطته برتقالة كبيرة ورمقته بعينيها الى ان غاب عن انظارها

ذهب جيمي مسروراً الى ان وصل الى منزله وحالما نظرته والدته كفكفت دموعها وسألته عن مصدر الباقة التي معه فقص عليها ما قد حصل له بثغر باسم و بوجه باش وقدم الباقة لوالدته وقال لها ، اقبلي مني ايتها الوالدة هذه الباقة . فضحكت بمرارة واجابته قائلة ما تجدينا نفعاً هذه الباقة التي احضرتها معك ونظرت الى خزانة المأكولات فوجدتها خاوية والموقد بلا نار

فقاطعها جيمي مسروراً ومعي ايضاً برتقالة كبيرة فقاطعته الوالدة ان عصيرها لا يشبع يا بني . ساد الصمت والسكون حوالى بضع دقائق عند ما شق حجابه صوت جيمي قائلاً ، والدتي اني قد فكرت في عمل سوف ابدل الورد بالنقود وطلب منها مساعدته في عمل باقات صغيرة من وردة واحدة حولها بعض الورق الاخضر واستطرد جيمي حديثه مخاطباً والدته ، واني اعدك بعدم العودة الى المنزل الا بعد بيعي جميع الباقات ، حينئذٍ احضر سلة ووضع فيها خمس عشرة باقة من الورد و بعد ان قبل والدته خرج بسرعة من المنزل وتوجه الى افخم شوارع العاصمة وفي مسيره باع خمس باقات وتبقى له عشرة ، وكان قد اقبل المساء ببرده القارس وزمهريره القوي فكان اكثر الناس واضعين ايديهم في جيوبهم من شدة البرودة ومسرعين الى منازلهم تنتظرهم المآدب الفخمة والمأكولات الشهية

يئس جيمي من المبيع في هذه الجهة وبينما هو سائر وقع نظره على منزل فخم على جانب عظيم من التنسيق الجميل يدل مظهره على ان ساكنيه من ارباب الملايين ، و بعد قليل وقفت سيارة فخمة بجانب المنزل المذكور واذا بسيدة جميلة الطلعة انيقة الملبس تتبعها ابنتها الصغيرة وعند ما نظرت الابنة جيمي حاملاً باقات الورد تقدمت نحوه فانتهرتها والدتها قائلة لها اتبعيني واسرعي في المسير ولا تقفي لان البرد قارس

« والدتي اجابتها الابنة انتظر بني ريثما ابتاع من هذا الولد باقتين من الورد فتقدمت الوالدة حينئذ نحو ابنتها ووجهت سؤالها لجيمي مستفسرة عن الثمن . فاجابها واسنانه تصطك ببعضها وجسمه يرتعش وكان البرد في تلك الآونة قد اخذ مأخذه منه واخيراً قال لها : « ستة بنسات الباقة يا سيدتي »

فاعطته اربعة شلنات فسر جيمي كثيراً من ذلك وتفاءل من هذا المكان خيراً واخذ يصيح من وقت لآخر ستة بنسات الباقة و بعد قليل لم يبق معه الا باقتان واغلب الاحيان كان المارون يقرضونه النقود بدون اخذ شيء

وفي هذا الوقت كانت السيدة وابنتها كيتي داخل المنزل فتوجهت الابنة تواً الى غرفة والدها مسلمة عليه وقالت له :

انظر يا ابتي ما اجمل العقد الذي قد اهدته اليّ عمتي وأرته اياه و كان مكوناً من اثمن اللآلئ واغلاها ، فقال لها والدها :

« احتفظي به يا ابنتي » فقالت له

نعم يا ابتاه اني ساحتفظ به . ثم تركته وتوجهت الى غرفتها وغيرت ملابسها عندئذٍ حضرت قطتها البيضاء اللون ذات الشعر المتجمد فراق لكيتي ان تضع العقد في عنقها وفعلاً وضعته واخذت تنظر اليها بسرور

و بعد قليل حضرت خادمتها فاحبت ان تريها العقد في عنق هرّتها ولكنها لم تجدها فصاحت صيحة خيبة الامل و بكت بكاءً مراً على ضياع هرتها وقالت وهي تبكي :

لقد ضاع عقدي في عنق الهرة وكان الصوت قد رن في ارجاء المنزل فحضر لبكائها والديها مستفسرين عن سبب بكائها وعند ما علما ما قد حصل تكدرا كثيراً لانه هدية ثمينة من عمتها

فارتمت كيتي على يدي والديها تلثمهما وتبكي فاخذا يهدئان روعها

اما من جهة الهرة فعند ما نظرت كيتي تكلم الخادمة انتهزت الفرصة وقفزت من النافذة فالتقطها جيمي الذي كان واقفاً تحت النافذة وضمها الى صدره ليدفئها واخذ يلعب معها

ولكنه انبهر عند ما شاهد العقد في عنقها فتوجه تواً الى باب منزل كيتي وطرقه ففتح له وطلب مقابلة السيدة فقال له الخدم انها في قاعة الاستقبال ويتعذر مقابلتها الان لانها مع جمع كبير من الاصدقاء الذين قد جاؤا مهنئين بحلول العيد السعيد ، فرجا جيمي الخدم ان يستأذنوا له منها بالدخول لامر هام

فاخبروا السيدة بذلك فامرت بادخاله

دخل جيمي ذلك الغلام الذي لا يليق له الدخول لذلك المجمع بتلك الثياب الرثة فوجهت السيدة سؤالها : ماذا تريد يا بنيَّ ؟

فقص عليها ما قد حصل فسرت منه سروراً عظيماً وتعجبت منه كما تعجب باقي الحضور واثنوا على شهامته النادرة وامانته التى تستحق كل التقدير والاعجاب ثم قالت له السيدة :

اذهب يا بنيَّ واحضر والدتك واخبرها باني اطلبها وصيفة لي وانت تكون بمثابة ولدي وتقيما كلاكما تحت سقف منزلى واحضرا حالاً الان كي نحتفل بالعيد معاً ونقيم معاً ...

لسان الحال (عن الانكليزية)

تعريب : الياس صوفان

٢٦

القاضي الحكيم ببلدة فرتيه

حدث هذا القاضي عن نفسه قال :

عقدت جلسة المحكمة ذات يوم ونادى الحاجب اثنين من المتخاصمين احدهما يدعى مشنوت يملك مزرعة صغيرة في الضواحي التى بقرب السين وهو رجل طيب تلوح عليه امارات السذاجة والدعة ، والخصم الثانى يدعى بالوتين يحترف حرفة بيع المواشي وشرائها في السوق ، نورمندي الاصل ، متقلب الرأي خشن الطباع ينفر منه كل من يعامله لسوء معاملته وقلة امانته وهو مع كل ذلك جبان ، يخاف من كل شيء حتى من خياله ولكن قلَّ من يعرف عنه جميع خصاله هذه ، فاذا ظهر للواحد بمظهر العادل ظهر للاخر ظالماً قاسياً ، واذا تظاهر بالشجاعة مع هذا ، جبن وتهيب امام ذاك

وسمحت للاول مشنوت بالكلام فتقدم خطوة خطوة امام المنصة وقال سيدي القاضى ، ساشرح لك ما هنالك هذا الرجل الشقي الشرير الذي امامكم باع لي بقرة دفعت له ثمنها حال شرائها وهو يدعي ان هذا كذب ومحض اختلاق

لقد اشتريت هذه البقرة بمائة وعشرة من الفرنكات ودفعت له القيمة قطعاً من ذات الخمسة فرنكات فاجابنى بالقبول واحضر البقرة خارج السوق ثم قال لى اعطني الثمن الان كما اتفقنا .. فذهلت واستولى عليَّ الرعب وقلت له « ألم ادفع لك النقود داخل السوق » فاجابنى « اي نقود يا كاذب . انت لم تدفع شيئاً ، اريد المائة والعشر فرنكات او ارجع مع بقرتي ، والان يا سيدي القاضى اترك لك الامر لعدلك ونزاهتك لتقتص لي من هذا الشاب الذي يريد ان ادفع له الثمن مرتين

— وهل لديك شهود ، قلت له بتؤدة — شهود ، لا ليس لدي شهود ٠٠٠ ولماذا ، هل من الضروري ان يحضر البيع شهود نحن في غنى عنهم لو كانت الذمة الطاهرة النقية باقية دائماً في نفوس الناس

فسكتُ هنيهة ثم وجهت كلامي لتاجر المواشي وقلت :

بالوتين ٠٠٠ هل سمعت اقوال خصمك ، اصغ اذن لي ، هل استلمت نقوداً ، نعم ام لا ، اقسم على ان تقول الحقيقة . فوقف بالوتين ورفع يديه وصرخ : هذا مدعٍ كذاب ، يا سيدي القاضي ، اقسم اني لم ارَ قط لون دراهمه انت اذن تنكر تماماً . — اي نعم سيدي القاضي

فوقف مشنوت بدوره صاخباً ، واخذ يلعن خصمه فاوقفته المحكمة عند حده واجلست الخصمين وتحولت نحو الحاضرين في الجلسة وكانوا نحو خمسين شخصاً ، بينهم شيوخ وشبان وبعد ان نظرت فيهم ملياً قلت لهم : لقد سمعتم اقوال المتخاصمين ان التهمة التي وجهها مشنوت ضد بالوتين لا تستند على اساس قوي فليس هناك أي شاهد يثبت لنا اقواله . ومع ان امارات الامانة والطهارة بادية على وجه المسيو مشنوت فانه كما ارى سيخسر المائة والعشرة فرنكات . التهمة غير ثابتة على بالوتين ولو كان هناك اقل اثبات لانتهينا من القضية بسلام ولكن مع الاسف لا يوجد ٠٠ فمسيو مشنوت يستحق والحالة هذه العطف والشفقة وعلى ذلك اقترح عليكم ان نفتح له اكتتاباً بالمبلغ الذى يتقاضى من اجله وها أنذا ابتدىء في افتتاح القائمة واتبرع بعشرين فرنكاً ٠٠ ها هي امامكم ٠٠ فهل هناك قلوب رحيمة تشفع لهذا المسكين البائس الذى ترونه امامكم وقد تجرد من دراهمه التي ادخرها فراحت ضحية دون معرفة الحقيقة وانت يابالوتين هل تطاوعك نفسك ان ترفض احساناً لهذا الخصم البائس

فوقف بالوتين تاجر المواشي وقال : يقيناً يا سيدى القاضي لست اقل كرماً منك ها اني اتبرع بقطعتين ذات الخمسة فرنكات . فاخذتُ القطعتين من بالوتين وفركتهما بيدى ثم قربتهما من عيني بعد ان قلبتهما مراراً وفحصتهما بدقة ، و بعد حين ظهرت عليّ امارات الغيظ والغضب وحملقت في بالوتين بشراسة وحدة متناهية وقلت له : — انت تتجاسر ايها الرجل على عرض نقود مزيفة وفي دار القانون ، فصرخ بالوتين نقود مزيفة ، ثم اخذه اصفرار مريع وارتعد فرقاً وارتياعاً . وقلت يا شقي هيا انت تعرف تماما هذه القطع من ذات الخمسة فرنكات تماما ، نصفها من الفضة والنصف الاخر من الرصاص ، قل حالاً من اين حصلت على هذه النقود المشبوهة ، والا فاني اقبض عليك باسم القانون وادخلك في اعماق السجون ، ايها الشقي ستتحمل جراء خيانتك وتزويرك وسيحكم عليك بالاشغال الشاقة

فارتجف بالوتين من اعلى رأسه الى اخمص قدمه وفاه بكلمات غير مفهومة وفجأة انطلق لسانه بالكلام واعترف : سيدى القاضى ، افضل ان اقول لك كل شيء ، اذا كان هناك مذنب ، فلست انا ، ولكن هو مشنوت الحاضر هنا ذلك لان قطع النقود هي التي اخذتها منه ، نعم هو نفسه الذى اعطاني اياها ، آه من الخبيث الماكر المزيف — نعم اخذتها منه ثمناً لبقرتى

انت اذاً تعترف باخذ ثمن البقرة — نعم سيدى القاضى ، اعترف بذلك الان

هذا يكفي ، اني احكم عليك برد البقرة الى صاحبها الشرعي وأرد اليك قطعتي النقود ذات الخمسة فرنكات ، فهما اصليتان صحيحتان ، واذكر ان حكايتي عن النقود المزيفة لم تكن الا وسيلة اضطرك بها الى ان تقول لي الحقيقة والصدق (الميزان)

٢٧
عابر سبيل

رواية تمثيلية

المورد : اتحفنا بها معربها الاديب الاستاذ حنا افندي الحداد وهي باكورة نفثاته اهداها الى عمه الاستاذ الفاضل خادم العلم والدين الخوري يوسف الحداد وذلك بالنظر لما لهُ عليه من حق التربية والتهذيب . وبعد ان اجاد في وصف مناقب ذلك المربي الحنون اتى على منشإ الرواية فقال :

هذه الرواية افرنسية الاصل ذات فصل واحد قد كان لها الوقع البليغ والشهرة الواسعة فتهافت عليها الادباء للتمثيل والمطالعة حتى اعيد طبعها ثلاث مئة مرة وكفاها انها من ادب الشاعر الشهير فرنسوا كوبه ، وقد تمثلت المرة الاولى في باريس على مسرح « اوديان » في ١٤ ك ١ سنة ١٨٦٩ ولعب ادوارها الممثلتان الشهيرتان ساره برنار والانسة أكار وهذه الاخيرة صدَّر الشاعر روايته بمقدمة لها مبيناً ما اظهرته مع ساره برنار من براعة الفن مما ساعد الرواية على ازدهارها وانتشارها العجيب مثنياً على الاثنتين اللتين سحرتا الحاضرين بالالقاء والإيماء والجمال فبدت الرواية آية في البلاغة والتأثير

وقد كانت هذه الرواية الصغيرة مبعثاً لشهرة كوبه كما هو ملخص في تاريخ اداب اللغة الافرنسية الذي جاء فيه :

« ان هذا الشاعر كوبه هو الوحيد بين شعراء عصره ولد في باريس العاصمة الكبرى وكان محبوباً للغاية وحاصلاً على المواهب التي تروق في عيون ناظريه كالقريحة الفياضة السهلة وحديثه المملوء بفكاهة لا تمنع احياناً عن التأثر والبكاء وانه بعد نجاحه الباهر في روايته البليغة الساحرة « عابر سبيل » قد حصل على مركز رفيع سام في عالم التمثيل »

المشهد الاول

سيلفيا وحدها

سيلفيا بلباس النوم الابيض تتكئ على حجر الرصيف ناظرة الى البقعة على ضوء القمر الساطع متخيلة متفكرة مستسلمة الى الهواجس ..

سيلفيا : لم اعد استطيع البكاء . لعن الله الحب ! !.

« تنزل بهدوء على المنحدر » قضيت صبوتي فتاة احاول ان أُعبد . اجل انا اميرة الجمال بيدَ اني عبدة شهواتي ارى الجباه دون مواطئ اقدامي و يدي ملتقى نور العاشقين وتلك القبلات الحارة تلامس فؤادي ومن تراه يصدق ان سيلفيا يساورها الملل فتسأم الحياة ؟

اني لملول فليس هناك حب ارتاح اليه .. وكأني بالسماء غضبى تلقي عليَّ نظرات نارية وقد مضى شهران تحجرت فيهما فوقي . وها هو الصيف الهادئ بلياليه الجميلة الصافية يذعرني ! ! حقاً ان هذه السماء الجافة ناقمة عليَّ قد اقصت عني الشعراء والمغنين الذين كنت يت قصيدهم وانشودتهم وقد طالما لقبوني بالزهرة الفواحة

اذ ذاك كانت سيلفيا هيكل العبادة يُحج اليها فتجرّ وتعلق بشرك نظرها الحاد اولئك المملقين الخاشعين ثم تعرض عنهم استخفافاً واحتقاراً

تهافت الاغنياء عليَّ وطرحوا على قدميَّ القلائد البرّاقة والمجوهرات النفيسة ولم تكن لتؤثر شيئاً في قلبي . ولماذا ؟ ؟ لاني ابغض واحتقر هؤلاء

الرجال الذين يريدوني لحيوانيتهم وانشد الحب ولا التقي به فيتمزق قلبي وهل من لذة بعد لهذه الحياة ؟ ولم يبقَ لي زهرة ولو يابسة ولا خصلة شعر احيي بها تذكاراتي الماضية ولم يبقَ لكلمتي ان تحرك قلباً وتثير عاطفة . حياتي اصبحت شقية الى انه لم يعطَ لي دمعة ابكي بها تعاستي فما اشقاني ! (تنظر نحو المدينة)

وها هي فلورنس بليلها الجميل تعيد عليَّ تذكارات مرة وتريني تلميذاً فقيراً نظرني مرة ففتن بي وحفظ لي حباً لا استحقه ..

« زنتو يغني بعيداً » غناء

زنتو : هيه يا نفسي هذا نيسان اقبل والشمس برزت من خدرها والعصافير تتجاوب باعشاشها . الهواء نقي بليل والسماء صافية كالمرآة واليمامة يتساقط ريشها كالثلج المتناثر على الارض

سيلفيا : كل شيء حتى هذا الصوت الشجي في الليل المدلهم يغضبني ويثير اشجاني انا العن الربيع وهو يتغنى به فما اتعسني ! !

زنتو : « يتردد الغناء قريباً »

تعال فنتلاقى وخذ طريق الفراشة والغانيات اللطيفات . تعال فانك عالم بانهنَّ يسمعنَ صوتك في ظلال الغابة قرب الغدير مورد الغزلان

سيلفيا : اللحن لطيف يملأ هذا السكون المهيب والصوت مؤثر يزيد في مهابة الليل . لكن لا افقه معنى هؤلاء المحبين .. فلندخل يجب ان نترك المكان حراً للمجتازين السعداء

« تصعد الدرج ببطء وهي تنظر الى الجهة التي يأتي منها الصوت زنتو يدخل وربابته على كتفه ورداؤه على ذراعه يجرّ على العشب دون ان ينظر الى سيلفيا »

المشهد الثاني

سيلفيا زنتو

زنتو : الا حيّاً الله ليالي الصيف فما ابهاها للساري وما اشهى عشاءه تحت ظلّ الكرمة ثم يستأنف سيره على ضوء البدر يغني غناءً ينسيه التعب . لتحيَ ليالي الصيف ففيها تتلألأُ السماء بانوارها والكواكب تبسم لك من خلال الاغصان محدقة بك كأنها عيون بشرية لتحيَ ليالي حزيران وليحيَ الامل

ها انذا وفي الغد اعلم اذا كانت مدينة فلورنس تشجوها انغامي فتنصت الى رنات عودي . . ولكن نحن معشر الموسيقيين قلما يؤبه لنا وظهورنا بهذا العود تحت اطمار بالية لا نلاقي الا اذاناً صماء ولا تفتح لنا الابواب عن رضى فاين يلين مضجعي في هذا الليل ؟ « ناظراً الى المقعد »

أعلى هذه الاخشاب البعيدة العهد ؟ انها لخشنة انما الليل ناعم ولطيف . وما عليَّ وقد تعودت افتراش التراب والتحاف النسيم والتدفوء على حرارة الشمس « يتأهب لينام على المقعد » . لا فرق عندي فاراني انعم بالاً مما لو كنت بين دثارين . . ايتها النجمة الجميلة مسكن الله العلي انك دائماً تؤدين رحمة ولا تحوّلين عنا وجهاً

« يتمدد على المقعد و يغطي نصفه بردائه و يطبق عينيه »

سيلفيا : (ناظرة من على السطح) مسكين هذا الولد ها قد فعل بما قال فما اسعده ! وانا اشقى والليل بهي جميل فما اتعسني ! (تنزل ببطء على المنحدر) يجبُ ان اناديه عملاً بواجب الضيافة . وانما يشكو جمال الصيف من

هو فريسة الهموم والكآبة فيود ان يكون الليل كجنح الغراب ليحجب عنه وينسيه هؤلاء الفقراء التائهين الذين نبذهم الحظ وضنّ عليهم « تنظر الى زنتو النائم » ولكن هذا الذي ينام كذا مطمئناً فهو قد آلف هذه الحالة. مسكين ايها الصغير .. (تضطرب)

ولكن ماذا !! فهذا السكوت والوحدة وهذا الليل الأرج ونوم هذا الولد كل ذلك يقلقني واشعر بقلبي يخفق خفقاناً وان عاطفة جديدة مؤثرة تلامسه فتوقظه .. كدت اجنّ .. (تنظر زنتو عن قرب)

اوّاه انه يشبه حلمي (تقبض على يده بلطف) افق وانهض فرطوبة الليل تؤذيك

زنتو: (يستيقظ ناظراً الى سيلفيا باعجاب واندهال) أبشراً ارى ؟ انما هذا ملكٌ كريم !.. انتِ التي كنت احلم بها فما كان اجمل هذا الحلم لان رقادي كان مملوءاً بروءًى بيضاء

سيلفيا: زه زه ذلك نور النجوم النافذ اليك من خلال الاغصان

زنتو: انما كنت اراكِ حقاً في حلمي وكأني اعرف هذا الصوت وكأني اسمع موسيقى علوية الهية

سيلفيا: وان ما سمعته من الانغام هو لا شك حفيف الاغصان الغضة المتداعبة بايدى النسيم -- زنتو: ومن انتِ اذاً ؟

سيلفيا: طارقة ارسلها القدر لتقدم لك طعاماً ومأوى

زنتو. (ناظراً اليها دائماً) اشكركِ سيدتى لست بجوعان ولم تعد عيني تألف الكرى

سيلفيا (على حدة) رفقاً ايتها الشريرة سيلفيا فكل شيء يشفع به ويجعله

عليك حراماً واذكري سابق عهودكِ بو يل الحب واعرفي انكِ امام ولد طاهر (جهراً) أليس لي ان اعرف من ينام تحت نافذتي ؟

زنتو : بلى . واني لا اريد نفسي نكرة فانا موسيقي اسمي زنتو وكالبدو الرحل اهيم على وجهي في فضاء الله وقلما ابيت ثلاث ليالٍ في مكان واحد . وارتزق بحرفٍ تافهة يعرض عنها الناس . . اقطع القضبان اللدنة وأحيك منها سريراً وارجوحة واصطاد ازواج الطير واروّض الحصان الجموح ولي خبرة بايقاع الغناء الشجي حتى عُرفت بسيد العود والقيثارة

سيلفيا (مبتسمة) كل ذلك لتحصل على غذائك ؟ ؟

زنتو : وهيهات ! وكثيراً ما اتوغل في الغاب كالسنجاب اعلل بثمر الجوز والاعشاب وقد اصادف احياناً عطفاً عليّ فارضى بسوافر الطعام ومبيت حقير اثوي فيه واذا امسيت في بعض القصور وقد تكللت الجفان باللحوم فغنائي الشجي يسد جوعي و يأوي بني ليلتي

سيلفيا : سمعت وفهمت واراك ذاهباً الى فلورنس دون ريب

زنتو : دون ريب ؟ لا ! على ان الطريق اذا تشعبت امامي فاتبع ايها تظهر لي اجمل . اتخذ هواي دليلي مستسلماً للقدر وأسبح كورقة في المهبّ وكسحابة تسوقها الريح فانا الشاعر الاهوج الذي لا يدري احد غدوّه ورواحه هيامه الافق البعيد ومتسع الفضاء يرقب عصافير السماء ويتبع مطارها ولا مطمع بوصلي اكثر من مرة واحدة . واتوقف حيناً لاقطف من الادغال زهوراً اكلل بها عودي ثم اواصل مسيري . فانا سائح غريب الاطوار أسامر النجوم وأرد الينابيع الصافية واقطع الانهار مسروراً لا يأخذني تعب وألطأ تحت الاغصان الغضة اتقي المطر فاخرج من الغاب مبتلاً مسرعاً نحو الجهة

المتكىء فوقها قوس قزح مستنداً بذراعيه

سيلفيا : وما الغاية من هذه الحياة المتشردة ؟ هلاّ تفكر في مصير مستقبلك وتعيش حياة اجمل ؟ ألم تنظر قط في جولاتك ذلك البيت الصغير الهادىء تحت ظلال الكرمة على بابه ينام كلب امين ومن نافذته تظهر لك فتاة اعارها الغصن قدّه والبدر شكله والصبح مبسمه والعندليب نغمته

زنتو : نعم بعض الاحيان . ولكني فكّرت ان مثل اغنيتي مثل حجر ألقي في الهشيم يخرج افاعي من اوكارها ما وراءها الا الرعب واحب دائماً ان اعتزل واترك العائلات مرتاحة — سيلفيا : ويحك ! الا تهتز اذ تغازلك الغانيات و يرشقنك بالزهور من فوق صدرهنّ الجميل ؟ ؟

زنتو : ان حرّيتي لعزيزة عليّ . فلو احببت يا سيدتى كنت اسيراً وخسرت سعادتي نخير لى ان ابقى هكذا حراً لا احمل عليّ غير قلم في قبعتي وقيثارة على عانقي وما الحب الا اثقل الاحمال على القلب

سيلفيا : اذا انت عصفور غير ممكن وضعه في القفص ؟-- زنتو : ابداً . .

سيلفيا : ولا بد له اخيراً من عشّ يأوي اليه

زنتو : لا لا . اني اخاف كثيرا من الحب آه انكِ تجهلين وليتك تعلمين كم هو عذب وجميل ان امرح حراً اتوقف حيث اريد واهيم متنقلاً كفراشة الحقل الحائمة على اجمل الازهار فتمتص افضلها وتطير

سيلفيا : ليست هذه هي السعادة أهكذا انت آتٍ الى فلورنس تصحب الدنيا بلا امل و بدت لك الطريق سهلة جميلة فاستسلمت ليد القدر ؟ او انك تأثرت السنونو بمطاره ام طابت لك نسيمات المساء فهمتَ بها الى هذه الجهة ؟

زنتو : تقريباً ! — سيلفيا : أليس هذا كله ؟ هل لك ان تعترض ؟

زنتو : نعم لكنه اعتراض تافه — سيلفيا : اتعترض بعد ؟

زنتو · اني اجهل ما يحمله لى الغد يا سيدتى

سيلفيا · وان امكنني مساعدتكَ ؟

زنتو · لا احتاج الى ذلك · اسمعي ان تخيلات تافهة ترف حولي · ان من كان مثلى مجهولاً لا يعلم ابن فلاح هو ام ابن امير ولكن اعلم حقاً ان يوماً شاهدت فيه النور كان ميمون الطالع ففى دماغي منه اشعة توحي اليّ باني غير يتيم · ومهما يكن فاني شارد كالغزال الحرّ وهذه حياة تسرني فلا اطمع باهنأ منها

انما الان وقد عطفتِ عليّ كأني امام اختٍ ، اصدقكِ اني اراني اليوم غيري في الامس فاغراؤك اياي ببيت فيه السعادة الداخلية لا يشوبها مرارة ولا ينغصها هجر اشعرنى لاول مرة انى خرق الرأي · وها أنذا مستسلم لنصيحتكِ منقاد لاشارتكِ منكر حياتى الماضية واكون لكِ خادماً اميناً · فكما انك جميلة يجب ان تكونى رحومة على قدر هذا الجمال · فهل تحفظين بقربك هذا الصغير وتجعلينه عصفوراً ؟ انى اترك حياتى الشاذة واعيش لا همّ لى الا ان اقطع نهاري جالساً تحت قدميكِ وغنائي ينفى اشجانك و يلطف احلامك

سيلفيا · انك لم تزل صغيراً (سراً) آه لماذا هذا القلق بي ؟ وعلى مَ هذا الخوف من بقائه دوني يكتنفه اعتنائي فيدعونى مولاته واسهر عليه كأمّ ؟

زنتو · هل سمعتِ انريدين ؟ — سيلفيا (سراً) واذا اردت ؟ ·· اوّه ! لا لن اريد ابداً · لكنه هو الذي يطلب ذلك

زنتو . وأكون اسير فضلكِ فهل تريدين ؟

سيلفيا (على حدة) غداً يعلم من انا

زنتو . مرة اخرى اتريدين ؟ — سيلفيا . لا . لا اقدر

زنتو . الا تقدرين ؟ ولماذا ؟

سيلفيا . لست انا المرأة التي تظنها اهلا للخدمة على اني فقيرة لا مال لى ولا اعوان

زنتو . ولا غلام ؟ — سيلفيا . ولا غلام

زنتو . لا بأس اني آكل الاثمار وارقد على احد المقاعد

سيلفيا . لا اقدر !

زنتو . لكن ... — سيلفيا . انى ارملة في حداد اعيش معتزلة

زنتو . وأسفاه ! انى لا اطلب يا سيدتى سوى مكان على قدميكِ

سيلفيا . غير ممكن قلت لك

زنتو . الوداع اذاً لعلّ الضالة التي ينشدها قلبي اجدها غداً عند سيلفيا

سيلفيا : (على حدة) ماذا يقول

زنتو . بخلتِ بمكان اسند اليه راسي عندكِ فلا تضني عليّ بالنصيحة . قيل لي ان في فلورنس امرأة لا يقوى القلب على سهام جفنيها فنظرة واحدة منها واليها تعلقه بشركها وتحمله على تعفير الجبين دون مواطئ اقدامها

صوّروها لى ملكة ذات جلال صفراء نظيركِ تسبح في نعيم العيش وتشجيها رنة العود وأنة الصوت . اسمها سيلفيا ، والى مليكة الجمال هذه انا صائر — سيلفيا ، يا الهي !

زنتو ، انى واجد مكاناً في قصرها بين زنجيّها وخدّامها بيد انى اشعر بهمس

في قلبي يثير عليّ ما بي من انفة وعزة النفس يقال ان لها جمالاً فتاناً يفسد القلوب السليمة وهذا ما يخيفني ، فقولي لي اذاً ماذا يجب ان اعمل يا سيدتي فانا لكِ في هذا الوقت ولاجلى حنّ قلبك الرقيق عليّ فنصيحة من فمك تقودنى الى السعادة كل حياتى فاجيبي هل اذهب الى سيلفيا ؟ ؟

سيلفيا (سراً) قد فهمت جيداً ، غداً يعود هذا الفتى العابر الذي اسمه الحب هذا المجهول الوضيع الذي بنظرةٍ اليه ملأ نفسي حناناً ورقةً ان القدر او الحظ ارسله اليّ وحدي . حظٌ سعيد وارفضه !! لا فطرده يخنق عواطفى ويميت شعوري .. انى اريد ...

زنتو ، ما يسكنكِ ؟ الا ترثين لحالتي ؟ رقي لى . قولي

سيلفيا (سراً) يا لى من العار ، لكنه القدر قد ساقه اليّ (رافعة صوتها) ماذا تريد اذاً ؟

زنتو ، ماذا ؟؟

سيلفيا (بشدة عظيمة بعد سكوت عميق) لا ، لا تذهب الى هناك حذار ، وثق بي وانسَ تلك البغي ان بك نفساً طاهرة تجهل كمين الدهر وتستنيم للحدثان وانا التي لا تستطيع اسعادك وقد انكرت عليك مأوى تسند اليه راسك يمكني ان اقف ما بينك وبين العار

ألستَ ابن الغابة وسميرك الصدى ومطارك مع الدوري تحت الغيوم وقرب الغدير ، انت صاحب القلب السليم ولك تغاريد عصافير السماء تطأ عتبة بيت شؤم كريه ؟؟ انت تدخل بيتاً لا تطلع عليه الشمس قبل رفع موائد المساء وشفتاك الوردتان تتدنسان بكؤوس فيها فيء التنانين ، وتأكل من فضلات تركتها الافاعي وتستهدف للعار دون سهام نارية ترميك بها عيون

ذابلة اسقمها السهر والفجور .. يا للفضيحة ..

انت الذي عيناك من لون السماء وشعرك من مبسم الفجر تذهب الى سيلفيا المتهتكة ، فهذا لن يكون ، قد فهمت ما هناك من مثوى ومأ كل يطوف حولها الخجل ولألف نغصة من العيش وغصة اطيب مما تهم به نفسك الملائكية فلك صوتك وعودك وكفى بهما ارتزاقاً وانت حر شريف

ولقد كلمتك بحدة وغلظة لم اعهدهما بي من قبل وانتَ الطاهر السيرة الصافي السريرة وما هو الا لاني اغار عليك لاني احبك فاريد خلاصك

لا يا زنتو لا تذهب وظل كالسنونو رائد نيسان وكن كالنحلة تحوم حول الزهور وماثل طنينها بنغماتك ، واذا دجا الليل واسود وجه السماء فدونك ذلك الشيخ صاحب القصر او قروياً صالحاً ترتاح اليه ثم تابع جولانك المألوف

واخيراً اذا مررت بقرية صباح فصل الربيع المبهج ورأيت فتىً وديعاً طاهراً يشتغل على مرأى من خطيبته فقف وتمثل به وعش طويلاً ناعم البال فتدري معنى السعادة

زنتو ، اني اطيعك لكن سيلفيا هذه المبتذلة في عرفك ارانيها الرواة على غير ما صورتها لي وما آفة الاخبار الا رواتها ولو دريتها لما حدثت النفس بها ... واراني اجسُّ منك جرحاً فتحته في قلبك فعفواً لجرأتي عليك

ألم تقولي لي بادىء ذي بدء انك في حداد ؟ واظن حدادك على اخ شفيق او خطيب حبيب فجعتك به سيلفيا هذه . الم يصح تكهني ؟ حنانيك مولاتي اذا كنت قد ابطأت بفهمي انك امرأة غيري . وقد وهمت اني اطلب وصلها .. لا . فما انا ممن يدخل العشق قلبه فليهدأ بالك

سيلفيا (متأثرة) كذبك ظنك يافتىً فما اعتزلت الناس وبي قلبٌ

يهوى . فلست بآسفة على اخ او حبيب انما تأثري غير ذلك · اني اعرف سيلفيا واشفق عليها واعرف حقاً ان بها قلباً عطوفاً قد يحترم عفة الشبيبة . ولكن اذا حملتها الشهوة القاسية للمشي على الثلج فهل يمكنها الثبات طويلاً هذا غير صحيح لانها باطناً تكره السلامة والطهر · اذهب اذاً واكد انها غيرتي عليك لا غير اخلصت لك النصيحة · وبوصفيها لك قمت بواجبي ودللتك على الهرب منها فرحٌ وحذار

(بألم عميق) ما اصعب عليّ ابعادك عن طريقك اليها وما امرّه ! ذلك ما لا تدريه واريدك ان لا تدري ومهما يكن فانا جديرة بالشكر على نصحي لك وخير الناس من صدقك (على حدة) قد قضي الامر ولشد ما كان اسفي لو انه عرفني

زنتو · نصحتِ سميعاً وأمرتِ مطيعاً وها انذا ماضٍ ولكني واجد يومي اسوأ من امسي لان امنية كنت اطلبها كذّب فيها الخُبر الخَبر · ويعزّيني ان في نصيحتك لي بدت شفقتك عليّ كما تبدو النجمة للساري في ليل مدلهم وفي قلبك عطفٌ سرّي باح به كلامك المؤثر

سيلفيا · (بانتعاش تقدم له خاتماً من حلاها) ذلك ما تقول وهاك هذا الخاتم فاحتفظ به عربون الذكرى

زنتو · (يرفض قبوله) انه لصوغ بديع نادر المثال من الذهب المصفى مرصع بالجواهر فلن اقبله ، ألستِ يا سيدتي ارملة وفقيرة

سيلفيا (على حدة) هل عرفني ، او يريد يمتحنني ، وهل عرف من اين هذه الحلى الممقوتة ، لقد سكت · ان بصره يخرق فؤادي

(جهراً) وماذا تريد ان اعطيك

زنتو ، ذكراً يا سيدتي لا صدقة ، شيئاً هو لكِ ومنكِ ، تكرمي بهذه الزهرة في ليل شعرك

سيلفيا ، (تعطيه الزهرة) اوّه خذها فقبل ان يطلع الصباح تراها في يدك ذابلة واحب ان هذا الذبول يذكرك بي وعند ما تذوى وتيبس غايرها بنسيانك لى ٠٠ الوداع

زنتو (يقترب اليها وهي تبتعد) كلمة واحدة يا سيدتى و كفى ، اخشى ان اعود الى طريقي المعتادة فقد ظهر لى ان لا طريق هنا مستقيم تؤدي الى السعادة ، اهديني انتِ الى طريقٍ فيها خيري اشيري بيدك اليها واتبعها ٠٠

سيلفيا ، (تكون صعدت نصف الدرج تدل زنتو باصبعها الى الجهة المعاكسة للمدينة قائلة) ، رح اذاً نحو جهة الفجر

زنتو ٠ يتقدم بعض خطوات نحو سيلفيا فتصده بعزم وبعد ان يتململ ويتنهد تنهدات يائس يخرج

المشهد الثالث

سيلفيا وحدها

تبقى وقتاً على السطح وبداها على خدّيها تشيع زنتو حتى يتوارى ثم بغتة تلقي رأسها بين يديها وتتكئ على خشب الشباك وعينها التى كانت نشفت من زمن طويل فاضت بالدموع ثم تجهش بالبكاء وتقول

ليتبارك الحب انى استطيع بعد البكاء

تمت

(المورد) هذه الرواية قصيدة منثورة الغرض منها توجيه نفوس الاحداث الى اتباع الفضيلة والهرب من الرذيلة لان عواقبها وخيمة بشهادة المختبرين المخلصين

العرق الذهبي

عن الكاتب الايطالي جو جليلموزوركي

بقلم الاستاذ محمود كامل المحامي صاحب مجموعة المسرح الجديد التي عنيت بنشرها ادارة الهلال

اما في هذه القصة فسأنتقل بالقارئ الى جو آخر يختلف اختلافاً تاماً عن الاجواء التي عشنا فيها الى الان . فهي قصة لكاتب ايطالي . وانا سعيد اذ ابدأ بقصة « العرق الذهبي » كأنموذج للمسرح الايطالي الحديث . فمؤلف هذه القصة وهو جليلموزوركي في مقدمة ابطال القصة المسرحية الايطالية . وهو من اتباع العبقري جابرييل دانونزيو عمل مثله الى المواضيع العواطفية الرائعة والاسلوب الفخم الجميل ولكنه في الوقت ذاته قد تأثر — كما تأثر الكثيرون من كتاب المسرح الايطالي في العشرين سنة الاخيرة — بطريقة الكاتب الايطالي المعروف لويجي بيرانديلو في بحث حالات نفسية مختلفة . وأزمات معقدة في صميم الحياة الانسانية

وقصة « العرق الذهبي » التي الخصها لك اليوم هي مثال حي لطريقة البحث النفسي العلمي التحليلي الذي يجربه المؤلف على ابطال قصته . وقد مثلت هذه القصة نحو خمسمائة مره في ايطاليا ثم ترجمتها الى الفرنسية مدام جان جاك برنار ومثلت للمرة الاولى على مسرح الاودبون في اكتوبر سنة ١٩٢٩ ، فقابلها النقاد في فرنسا بعاصفة من الاعجاب والتقدير . وحيوا بكل قلوبهم تلك الطريقة المبتكرة الحديثة في التحليل النفسي الرائع . ولو ان بعضهم لم ينسَ ان يقول ان هذه القصة تمت بصلة شبه الى قصة الكاتب الفرنسي هنري باتاي المسماة « الام كوليبري »

نحن في قصر الكونتس اوزبرتي وهي سيدة في السابعة والثلاثين من عمرها تسمى ماريا جميلة فاتنة . جياشة بالعاطفة ، يبدو عليها انها ما تزال طفلة صغيرة . ولقد تزوجت هذه السيدة منذ عشرين عاماً وهي في السابعة عشرة

من عمرها لا تكاد تعرف عن الحياة شيئاً . ولكن زوجها هجرها بعد الزواج بخمسة اشهر ، وتركها تحمل بين احشائها جنيناً ، هو ابنها كونراد

وانت تعلم منذ بدء الفصل شيئاً كثيراً عن حياة هذه الاسرة . من حديث يدور بين زائرين قدما لرؤية ماريا . هما الباني احد اساتذة الامراض النفسية والعقلية في ايطاليا ، وجوي مانفريدي الشاعر الشاب الذي لم يبلغ من العمر الرابعة والثلاثين . ومع ذلك فقد ذاعت شهرته في ايطاليا وفي الخارج ، وتهافت القراء على شراء كتبه وقصائده

ويقبل كونراد ابن صاحبة القصر فاذا به شاب في العشرين من عمره . قوي البنية جميل يتحدث الى جوي الشاعر فتفهم انه صديقه الحميم ، وانه تحدث الى والدته عنه فرغبت في التعرف اليه بعد ان قرأت قصائده

ثم تقبل ماريا ، وتتحدث الى جوي عن كتابه الجديد الذي يعتزم اخراجه والذي قدم خصيصاً لزيارة بعض الاماكن الاثرية من اجله

ويدق جرس التليفون ويجيب كونراد فاذا بالمتحدث ابنة عمه الكونتس اميلي واذا به يداعبها مداعبة طويلة ، ويدعوها للحضور الى القصر . واذا بهذه الدعوة تقابل بشيء من الدهشة من جانب والدته اذ ان اميلي لم تعود الحضور فى المساء

ويخلو جوي الى الاستاذ الباني ، فيخبره الاخير بان الشاب كونراد قد تعلق بحب ابنة عمه رغم انها تكبره بعشرة اعوام ، وان هذا الحب يعرضه للخطر ، اذ انه شاب لم يتجاوز العشرين من عمره وليست له اية دراية او خبرة بالحياة فقد كان في حضانة امه منذ ولادته الى الان

وتفهم من حديثهما ايضاً ان ماريا قد كرست حياتها لولدها كونراد منذ

هجرها زوجها بعد خمسة اشهر من زواجهما ليهرب مع عشيقته الروسية وان هذا الزوج يعيش الان في بتروجراد ، وان ماريا قد تعزت بولدها عن هذا الهجر وظلت روحها حية قوية غير مكترثة لشيء وكأنها استعادت كيانها كفتاة بكر عذراء !

وتقبل اميلي وتتحدث الى كونراد حديثاً طويلاً كله عاطفة وشعر واحساس خفي مكنون ·· وتكاد تشعر من خلال هذا الحديث — رغم ما احاطه به المؤلف من غموض — ان هناك حباً متبادلاً بين هذين الشخصين فهي تقدم له وروداً قطفتها من الحديقة وتدني هذه الورود من انفه ليستنشق عبيرها · ثم تقول له :

— اعدلي هذه الوردة ذابلة ··· الا تريدها ؟ اذن فانا اضعها هنا · (تضعها على المائدة) ولكن احذر اذ هي ما دامت هنا فستذبل بسرعة كما اقول لك

ثم تخرج ضاحكة

وتدخل ماريا في تلك اللحظة وتفهم ما يدور بينهما من مجرد النظر اليهما ويدعوها كونراد للخروج معه الى الحديقه مع باقي الضيوف · ولكنها تعتذر وتسمح له بالذهاب وحده بعد ان تلاحظ القلق الذي يبدو على وجهه والخجل الذي يعتريه

وتدير ماريا رأسها الى الباب الذي خرج منه ابنها وبعد قليل تجلس على احد المقاعد ويبدو عليها كانها تحس بان ابنها قد انتزع منها نهائياً وتصل الى سمعها ضحكات اميلي المرحة ، وتنقضي فترة صمت وسكون رهيب ثم يقبل جوي ويتحدث اليها فاذا به يلاحظ اميلي تغري كونراد وتفتنه ، واذا بماريا

تقول له : — ولكن على شرط الا تنتزعه مني تماماً

ثم يتحدثان عن الكتاب الجديد الذي يعتزم جوي اصداره ، فيسرد لها الشاعر الشاب كيف ان هذا الكتاب يدور حول شخصية (افروديت) الاغريقية تلك الشخصية القصصية التاريخية المعروفه و كيف انه ذهب لزيارة قبرها و كيف ان روعة حياتها تتلخص في انها تزوجت ثم تركها زوجها وانها ظلت تنتظره في قبرها منذ اربعة عشر قرناً ! ولكن زوجها كان قد وجد امرأة اخرى ولا زالت (افروديت) تنتظر ٠٠ وحدها ٠٠ !

وتتأثر ماريا من هذا الحديث وتحني رأسها اذ تذكر حالتها الخاصة و يستمر جوي في حديثه واخيراً ينتبه الى انه قد اثر في ماريا تأثيراً قوياً فتقف الكلمات على شفتيه ، وتسمع من الخارج ضحكات عالية يبدو من خلالها صوت اميلي واضحاً

وتدخل اميلي وقد بدا عليها انها تأثرت من شرب الشمبانيا فتلعب مع كونراد و باقي المدعوين ويتعالى ضجيجهم وضحكهم

ثم تخلو ماريا الى ابنها فيقترب منها ويشخص الى عينيها في حنان لا حد له ٠ وتقبله في جبينه وهي تطلب اليه ان يذهب الى فراشه وان يعتني بغطائه لئلا يتعرض للبرد

وتخرج ماريا فيقترب كونراد من المائدة و يتناول الوردة التي كانت قد تركتها اميلي وينظر اليها ثم يلتفت الى الباب الذي خرجت منه والدته و يضع الوردة ثانية ثم يخرج

****

فاذا كان الفصل الثاني فنحن لا نزال حيث كنا وقد اقبل الشتاء وانهمر

الثلج فغطى الحديقة بطبقة بيضاء ، وقد سارت علاقة كونراد باميلي في مجراها العادي ، ولكن نشبت في الوقت ذاته علاقة اخرى بين ماريا والشاعر جوي مانفريدي صديق ابنها . فهما يخرجان للنزهة وزيارة الاماكن الاثرية معاً،وهما سعيدان بهذه الزيارات يقومان بها لجمع المعلومات اللازمة لكتاب جوي الجديد وماريا تسرد في اسهاب كيف ان الدليل كان يقودهما بين اروقة احد المتاحف المظلمة ، وكيف انطفأ مصباح الدليل اثناء سيرهما فساد الظلام ، وكيف انها اعتمدت على ذراع جوي وضغطت عليه من الخوف . وهي تلوم ابنها كونراد لانه لم يصحبهما في تلك الزيارة ، وتستمر في وصف شعورها والاثر القوي الذي تركته تلك الزيارة بصحبة جوي في نفسها . ويستمع ابنها الى ذلك ولكن بغير اكتراث ولا اهتمام . وتسأله امه بضعة اسئلة فيجيب في تراخ وكانه غير مسرور من خروج والدته مع جوي . غير انها تسأله عما اذا كان سيتناول الغذاء معها ام لا فيجيبها انه سيتناوله في احد المطاعم !

ويتحدث كونراد الى جوي فتشعر ان الاول قد بدأ يحمل في نفسه ضغينة نحو صديقه . فهو يسخر منه ويتهكم عليه ويذكر له انه يستطيع ان يلتمس وحي شعره وفنه في احد (الاسطبلات) فهناك يعمل الشعر !

ثم يتدرج في حديثه ويفهم جوي ما يريد ان يقوله، ولكن بلهجة خفية مستورة غير واضحة ، فهو لا يطيق ان تخرج والدته معه وان تهزأ بذكرى والده

فاذا خرج كونراد فماريا تبكي اذ يتضح لها ان ابنها قد اشتبه في علاقتها بجوي . وهي تبدي لجوي رغبتها في الا يطيل اقامته . فيقترح عليها ان يتظاهر بوصول رسالة برقية تستدعيه الى بلدته و ينتحل ذلك سبباً للسفر و يذكرها

جوي بالايام السالفة التي بدأت فيها العاطفة المشتركة المتبادلة تتحرك في صدريهما ويذكرها بالمصادفات العجيبة التي كانت تجعلهما يتقابلان، وعلى غير موعد في اماكن معينة خارج المدينة . وهي تستوقفه وترجو منه الا يستمر في حديثه فيستميحها عذراً ثم يخرج

ويسود فى الغرفة ظلام لا يضيئه الا انعكاس لمعان الثلج في الحديقه ، ويعود كونراد فتخبره ماريا ان ما نفريدي كلفها ان تودعه فقد وصلته برقية من والدته تستدعيه الى تورين وانه لن يعود مطلقاً بعد ذلك

وتظل ماريا صامتة وهي تقاوم عاطفة حادة عنيفة تضطرم في صدرها وينتهي الفصل بهذا الموقف العجيب

كونراد — اماه ! (يقترب منها بسرعة و يسقط على الارض ثم يخفي وجهه بين ركبتي والدته ويقول اذ يبكي مضطرباً) : اماه اماه انت قديسة اماه اماه !

ماريا (في اثناء صياحه المحزن تداعب رأسه وتمنعه من الكلام) -- كلا كلا لا تتكلم لا تتكلم

......

فاذا كان الفصل الاخير فقد اقبل الربيع وانقضى نحو عام على ما تقدم وعادت ماريا وابنها كونراد من رحلة طويلة قاما بها في انحاء اوربا ، ولكنك تلحظ على ماريا تغيراً كبيرا ، فقد فقدت تلك الروح المرحة التي كانت تبدو بها ، واصبحت دائمة العبوس والتفكير ، لا تكاد تجد شهوة للطعام او الشراب وتعاني مشقة هائلة في الحصول ولو على قدر ضئيل من النوم

ويقبل الاستاذ الباني استاذ الامراض النفسية والعقلية ، كما تقبل اميلي

لتحية ماريا وابنها بمناسبة عودتهما ، وتفهم من حديث اميلي مع كونراد ان الشاعر جوي مانفر يدي قد حضر الى البلدة منذ شهرين ولكن احداً لا يراه فهو موجود دائماً في احدى الكنائس ينقب على مستندات تفيده في كتابه الجديد ، ولو انها تعتقد ان هذا الكتاب لن يظهر مطلقاً ! ويتحدث كونراد الى الاستاذ الباني فيشكو له سوء حالة والدته ، وكيف انه عرضها على اعاظم الاطباء في نابولي وميلان وباريس ، ولكن الباني يجيبه قائلاً :

انني اكرر لك ان الاطباء لا يستطيعون ان يفهموا شيئاً من حالة والدتك لان والدتك ليست مريضة · لقد امتحنتها بكل دقة قبل سفرها ، ثم رأيتها مرة اخرى في روما ، وانا اراها الان · انها بصحة جيدة · قلبها قوي وبالاختصار ليس فيها عضو ضعيف ·· اذن ·· اذن فيجب البحث عن سبب خارج عن جسمها ·· هذا هو تشخيصي

ويدهش كونراد من هذه اللهجة ولكن الباني يتدرج فى حديثه فيشرح حالة والدته ، وكيف انها عند ما هجرها زوجها كانت شابة في السابعة عشرة من عمرها · فلما رزقت به حصرت كل جهودها وغرائزها ومشاعرها في حبه والعناية به وظلت شابة ناضجة حتى كبر واصبح شاباً · فلما لاحظت علاقته باميلي اخذت تفكر في ان ابنها سينتزع منها وان لها هي الاخرى قلباً كانت اغلقته دون الناس اجمعين ولم يتسع الا لحب ابنها · شعرت هي الاخرى بان شبابها الذي اختزنته مدى عشرين عاماً قد تحرك واخذ يطالب بحقه هو الآخر ··؟!

ويذهل كونوراد لهذا التقرير الذي ادلى به الاستاذ الباني ، ويرى فيه اهانة فيغضب ولكن الاخر يقول له :

-- انني رجل هرم واستطيع ان اقول لشاب في العشرين من عمره انه لا يوجد في العالم مبدأ يمكنه ان يقاوم الحياة ، يجب ان ننحني امام الحياة ، ان فينا غرائز مقدسة لا نعترف بهـا ونخجل منها ولكنها تقودنا الى فواجع لا حصر لها ..

ويصيح كونراد قائلاً :

— الباني ! الباني

ثم يسقط على المقعد و يجهش بالبكاء

و يخرج الباني بعد ان يطلب من كونراد ان يتشجع ولا ييأس و يعمد الشاب بعد قليل الى صورة والدته منذ عشرين عاماً وصورتها في الشتاء الماضي و يرى انها كانت ولا تزال محتفظة بمرحها وشبابها وطفولتها

ويستدعي الخادم ثم يعطيه رسالة يأمره بايصالها الى جوي مانفريدي ، وتقبل اميلي فتتحدث اليه حديثاً ممتلئاً بالعاطفة والنشوة والحب

ويحضر جوي ، ويقابله كونراد في بادىء الامر مقابلة فاترة ، ويتردد طويلاً في الافاضة اليه بسبب استدعائه ، واخيراً يفهمه بانه قد استدعاه لكي يساعده في انقاذ والدته من المرض الذي انتابها بسبب انتزاعها منه ، ويحنو جوي عليه و يبدي له كل حب واخلاص وينسى اساءته له ويطمئنه و يعده بانه سيحضر في المساء ، ثم يقول له :

— يبدو لي انك في قرارة قلبك ، في تلك الظلمات الحالكة حيث يختلط الخير بالشر وحيث لا يجسر الرجال على الهبوط خوفاً من الالم ، يبدو لي انك استطعت ان تجرؤ على النظر الى تلك الظلمات ، وانك قد اكتشفت هناك جمالاً جديداً .. اكتشفت العرق الذهبي لقلبك ويمد كونراد يده الى

صديقه فيتصافحان ، و يخرج جوى على ان يعود في المساء

ويخلو كونراد الى نفسه قليلاً ثم تدخل ماريا فتقف اذ تلاحظ ان ابنها ينظر اليها بعينين غريبتين متغيرتين ، فتضع الزهور التي معها على المائدة الصغيرة وتنتهي القصة بهذا الموقف الشعري الرائع

كونراد بعد (سكوت) — اماه (سكوت يجاهد فيه للمرة الاخيرة ويغمره شعور ودبع هادىء) تذكرين في السنة الماضية ؟ اذ كنا جالسين هنا (يشير الى المقعد) قلتِ لي : ان مانفريدي قد سافر ولن يعود مطلقاً (ماريا تشعر ان قواها ستخونها فتستند الى المائدة لكيلا تسقط ، ولكنها تحاول اخفاء ذلك لئلا يلحظ ابنها) كلا ٠٠ اتعلمين يا اماه ٠٠ لقد عاد ٠٠ كان هنا منذ لحظة (ماريا تخفض رأسها ، فقد فهمتْ انه يعلم كل ما كان بينهما وبين مانفريدي وانه من العبث ان تنكر او تخفي ذلك) لقد قلت له ان يحضر هذا المساء (ماريا تظل صامتة ساكنة خجلة وتنهمر الدموع من عينيها فينظر اليها كونراد في حزن وحب ثم يقترب منها و يطوقها بذراعيه و يدني وجهها من وجهه ، و يبقى هكذا برهة وهو شاخص الى الامام ، ثم يغمض عينيه ويهمس بصوت مرتعش يختلط فيه الحزن بالفرح والحنان) ٠٠ اه

٣٩

ثريا

عندما انتهى الجندي «غليوم» من كلامه نظر اليه مولاه «روجيه يبكون» وقال له :

— اواثق انت مما تقوله

فاحنى الجندي واجاب : نعم يا مولاي

— وهل عرفتك الفتاة كما عرفتها انت

ـ عرفتني ... وتذكرت تلك الايام السعيدة التي كنت اقوم فيها بخدمتكما هناك في قصر والديكما في سكوتلاندا

ـ وماذا قالت لك

ـ قصت علي قصتها وحدثتني عما قاسته من عذاب وتجرعته من مرارة منذ وقوعها في الاسر الى اليوم

ـ ينبغي ان ننقذها وسأضحي في سبيل ذلك بكل شيء .. لن اذوق راحة بعد الان ما دامت اختي ترسف في قيود الذل والعبودية

ـ سننقذها يا مولاي ... يجب ان ننقذها

ـ سارفع الامر الليلة الى مليكي ريكاردوس قلب الاسد لكي يرى رأيه فيـه

....

نهض روجيه وجعل يروح ويجيء في مضربه كالاسد المرمي بسهم حاد كان يحب اخته ماري حباً جماً وعندما لبى النداء العام وسافر مع جيش ريكاردوس قلب الاسد ملك الانكليز الى الاراضي المقدسة متطوعاً في الحروب الصليبية الحت عليه اخته ان يصطحبها معه فاجابها الى رغبتها وسافر الاثنان معاً الى السواحل الشرقية

. . . . . .

كان السلطان صلاح الدين الايوبي قد سحق جيش الفرنجة في طبريا ومزق شمله شر ممزق وانتزع منه بيت المقدس · وبسط من جديد سلطان العرب على سوريا ومصر ودعا ذلك الانتصار الباهر ملوك الغرب الى تجديد حملة جديدة على الشرق · فدقت الاجراس والنواقيس ودوت الطبول والابواق وعلت اصوات المنادين الى الجهاد · فتألب الشباب والكهول من كل فج وصوب الى معسكرات الجيش في المانيا وفرنسا وانكلترا · وحمل البحر من الغرب الى الشرق جحافل الحرب الصليبية الثالثة بقيادة الامراء الثلاثة باربروس الالماني ، وفيليب اوغست الفرنسي وريكاردوس قلب الاسد الانكليزي

وكان ذلك في سنة ١١٨٩ للميلاد الموافقة ٥٨٥ للهجرة

ولكن العاهل الالماني مات غرقاً في الطريق ووصل رفيقاه بجيشهما المشترك امام عكاء الحصينة فهاجموا اسوارها واستولوا عليها بعد قتال عنيف

هناك جرح « روجيه بيكون » بضربة مزراق اخترقت كتفه اليسرى فنقل مع المصابين من ابناء قومه الى المستشفيات

وعندما ابتعد فرسان العرب عن الاسوار احتملوا معهم الاسرى والسبايا

وكانت الفتاة ماري اخت الجندي روجيه بيكون بين النساء اللواتي سباهنّ الجنود

....

في سنة ١١٩١ ميلادية الموافقة ٥٨٧ للهجرة ، الفتاة تدعى الان « ثريا » وتقيم في قصر الملك الناصر يوسف صلاح الدين ، بين السراري والجواري . وقد حكم عليها القدر ان تقضي بقية حياتها بعيدة عن اخيها وابناء عشيرتها

وقد اشفق عليها الملك العربي عندما قصت عليه قصتها فامر بالا يلحق بها اذى وان تظل حرة طليقة في حدائق القصر وردهاته الواسعة

ولكنها كانت كالعصفور السجين تطوف ارجاء القصر ناظرة الى النور من خلال السجف الشفافة والنوافذ الضيقة ، الى الغابات ترتع فيها الثعالب والضباع والى مسارح الغزلان في سفوح الجبال والى الفضاء اللانهائي تسبح فيه النسور والعقبان

هناك وعلى تلك الحالة رآها خادم روجيه ـ الجندي غليوم وكان مولاه ريكاردوس قلب الاسد قد بعثه برسالة الى ملك العرب

عمد الجندي الى الحيلة وتمكن من محادثة الفتاة فعلم منها كيف وقعت في الاسر وانها تتحين الفرص للفرار من سجنها . ولكن كيف السبيل الى الفرار والقصر يعج بالنساء والرجال والحدائق محاطة بالاسوار العالية والحراس والجنود يملأون السهول والطرقات

حمل الجندي الخبر الى روجيه فاسرع الشاب الى مولاه الملك والقى بنفسه على قدميه باكياً طالباً منه المعونة لانقاذ اخته من الاسر فطيب ريكاردوس خاطره وهدأ روعه ووعده بان سيحقق امنيته قائلاً له : اعلم ان السلطان

صلاح الدين شهم همام شريف النفس عالي الهمة عادل رحيم ، وقد اثبتت لي الحوادث الماضية ان لدى المسلمين ابطالاً لا تقل شمائلهم عن شمائل ابطالنا الا تذكر ياروجيه تلك الموقعة التي التحمنا فيها مع جنود الامير سيف الدين على مقربة من يافا والتي قتل فيهـا جوادي فارسل اليّ ذلك الامير الشجاع جوادين من خيرة جياده طالباً مني ان لا اكف عن القتال بل ان امضي فيه الى النهاية ، الا تذكر ايضاً اني قلدت ابنه الشاب سيف الفروسية في ميدان القتال اعترافاً مني بجرأته وشجاعته ونزولاً على رغبة ابيه ؟ اننا نحارب يا روجيه ابطالاً مثلنا يضعون قواعد الشرف وتقاليد الفروسية نصب اعينهم في كل ظرف وحال ، وساكتب الى صلاح الدين طالباً منه ان يعيد اليك اختك ولن يرفض لي رجاء

......

وكتب ملك الفرنجة الى ملك العرب الرسالة الاتية :

ايها المولى :

« حامل رسالتي جندي من جنودي البواسل بطل لاقى ابطالك في الميادين وابلى مثلهم في القتال البلاء الحسن . وقعت اخته اسيرة فساقها رجالك الى قصرك . كانت تدعى ماري فاطلقتم عليها اسم ثريا . ولملك الانكليز رجاء يفضي به الى ملك العرب . اما ان تعيد الى الاخ اخته واما ان تحتفظ به اسيراً معها ، لا تفرق بين من جمعهما الله ، ولا تقضي على عصفور ان يعيش بعيداً عن عشه — اني في انتظار اقرارك واذكرك بقول امامكم عمر بن الخطاب وقد تلقنته عن صديقي الامير حارث اللبناني « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً »

فامتطى روجيه يكون اسرع الجياد وراح ينهب الارض نهباً الى مقر السلطان وسجن شقيقته – ومثل بين يدي الملك الناصر فدفع اليه الكتاب ووقف ينتظر الرد وقلبه يخفق وشفتاه تختلجان

قرأ صلاح الدين الكتاب ورفع نظره الى الشاب المضطرب و يده تعبث بلحيته الكثيفة وقد ارتسمت على فمه ابتسامة هي علامة الرضاء والارتياح ثم دعا روجيه الى الجلوس وقال ·

– يسرني ايها الفتى ان اجيب مليكك الى رغبته ، وان يكون حامل رسالته بطل من ابطاله الشجعان ، وان اصافح هذا البطل مصافحة الجندي للجندي ، سأكون عند حسن الظن بي ولن ارفض لريكاردوس طلباً وان كانت الارض قد جادت مرة واحدة بقلب الاسد وصلاح الدين فانها لن تجود بهما ولن تجود بمثليهما مرة ثانية

وامر السلطان برد الفتاة الى اخيها ومد يده الى روجيه فانكب الشاب عليها يقبلها وقد تساقطت دموع الفرح من عينيه · وكتب صلاح الدين الايوبي الى ريكاردوس قلب الاسد هذا الرد على كتابه :

ايها المولى :

« صافحت الجندي الباسل الذي بعثت به رسولاً اليّ ، فليحمل اليك المصافحة ممن عرف قدرك في الميادين ، لن احتفظ بالاخ اسيراً مع اخته ، لاننا لا نستبقي في بيوتنا الا اسلاب المعارك ، لقد اعدنا للاخ اخته واذا ما نزل صلاح الدين على قول عمر بن الخطاب فانما فعل ذلك لكي ينزل ريكاردوس على قول عيسى عليه السلام « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فرد ايها المولى الارض التي اغتصبتها الى اصحابها (البرق عن فلسطين)

٣٠

الشلين وفنطون

روي ان رجلاً في الثامنة والثلاثين من عمره يقال له فنطون كان في اشد حالات الفقر والحاجة وقد اصبح في احد الايام وهو على شفا الهلاك لان يومين كاملين مرّا به دون ان يذوق فيهما طعاماً او يرقد على فراش ومن اين له ان يأكل او يجد لنفسه مأوى وليس معه شيء من الدراهم · وكان الجوع قد اثر فيه تأثيراً سيئاً فاخذ يجول من مكان الى اخر في شوارع لندن العظيمة علَّه يجد ما يسد به الرمق · وظل تائهاً يسير على غير هدى وقد اظلم عقله وسئم الحياة

وكان وهو في تلك الحالة يلوم نفسه لعدم انصبابه على الشغل ولقضاء سني حداثته وشبابه في البطالة واللهو حتى اصبح في جملة المتشردين والفقراء المدقعين · وادرك الان ان المال هو حياة البشر وان الانسان بلا مال مائت لا محالة وان الجلوس في احقر السجون هو افضل بكثير من ان يكون الانسان حراً ولا دراهم بين يديه يدفع بها عن نفسه الجوع والذل

خطرت هذه الافكار لفنطون وقد زادته سوءاً وشقاء فانزوى في احد منعطفات الطرق وبكى بكاء مراً ، ولكنه شعر بان البكاء لا يجديه نفعاً بل يزيد آلام نفسه ، فمسح دموعه بمنديل كان في جيبه وعاد الى المسير في تلك الشوارع الرحبة والجوع يضغط على نفسه ضغطاً شديداً ، وقد شعر وهو بين تلك الالوف العديدة من البشر التي كانت مزدحمة في تلك الشوارع

بانقطاعه عن عالم الاحياء وانفصاله عن جسم الهيئة الاجتماعية القاسية ، فزفر زفرة حارة وواصل سيره وفي نفسه ما يمزقها وفي قلبه ما يسيل دماءه

وكان الكلال والجوع قد نهكاه وأثرا فيه شديداً فشعر بخور في عزيمته وانحلال في اوصاله واصبحت رجلاه غير قادرتين على حمله ، فمال الى حائط في الشارع استند اليه وغاص في تأملاته المحزنة

وبينما هو كذلك واذا برجل يسير بالقرب منه وقد حمل بين يديه صندوق ثيابه . فنظر فنطون الى وجهه فتوسم فيه خيراً وعلم انه متوجه الى محطة القطار فاسرع اليه وقال له بصوت فيه رنة الحزن الشديد — اسمح لي يا سيدي ان احمل لك هذا الصندوق حيث تريد

وكأن الرجل قد ادرك بلحظة الدافع الذي جعل فنطون على ان يعرض نفسه لخدمته فدفع اليه الصندوق دون ان يكلمه شيئاً

وشعر فنطون بتجدد قواه ونشاطه فسار بين يدي الرجل حتى اوصله الى المحطة وادخله الى احدى مركبات القطار وقد وضع الصندوق في المركبة وهم بالانصراف فناوله قطعة من النقود ، اخذها فنطون شاكراً وخرج وقد طابت نفسه وانتعشت قواه لان الاجرة التي استحقها اليوم كانت شليناً كاملاً وهو في نظره مبلغ كبير يستطيع ان يستعين به على سد جوعه في ذلك المساء وعلى ايجاد مبيت له على فراش وليس على اديم الارض في الخلاء

وسار بعد ذلك والسرور يرنح معطفيه الى احد مطاعم لندن الحقيرة وطلب فنجاناً من القهوة وقطعة من الخبز وجلس يأكل بلذة فائقة وقد رأى ان فنجان القهوة هذا الذي احرزه الان بتعبه هو الذ كثيراً من كل شراب وطعام وشعر في الوقت نفسه بانه يستطيع الحياة في هذا العالم الكبير اذا اعتمد

على نفسه واستخدم قواه · وخرج بعد ذلك من المطعم بعد ان دفع خمسة بنسات ثمن الطعام و بنساً واحداً ثمن خمس لفافات من التبغ و بقي معه ستة بنسات خبأها في جيبه بحرص ليدفعها اجرة المبيت وسار في الشارع ووجهه طافح بالهناء وقد عزم ان يهجر حياة التشرد والبطالة و يبحث لنفسه غداً عن خدمة او عمل يقيه كوارث الدهر

ولكنه ما ابعد عن المطعم الا قليلاً حتى ابصر رجلاً من رفاقه المتشردين وكان قد قضى واياه ليلة امس نائمين في الخلاء · وكان هذا الرفيق على اخر رمق من الجوع والاعياء وقد رأى فنطون في وجهه علامات اليأس والحزن فانقبضت نفسه وادركته عليه شفقة عظيمة وشعر بدافع يدفعه الى مساعدته ولو حرم نفسه المبيت · وفي الحال اخذه بيده وعاد به الى المطعم وطلب له فنجاناً من القهوة وقطعة من الخبز ودفع عنه خمسة بنسات وخرج بعد ذلك هائماً على وجهه ولكنه كان مسروراً لانه استطاع ان يعمل خيراً لقريبه وقد انقذه ولو وقتاً يسيراً من الضيق الذي كان يشعر هو بثقله منذ هنيهة

وفيما كان فنطون سائراً من شارع الى شارع وقد ساورته الهموم وتراكمت عليه الهواجس استلفت بصره في جهة من بعض الشوارع محل كبير تألقت على ابوابه المصابيح والانوار الباهرة فسدد خطواته اليه واذا به يرى اعلاناً كبيراً من الانوار باسم احدى جرائد العاصمة والى جانبه اعلانات اخرى بمواضيع عدد ذلك النهار · وكان قد بقي مع فنطون بنس واحد فرأى ان يبتاع به نسخة من تلك الجريدة ويلهو بها وقتاً من ذلك الليل الطويل · ولم يبطئ ان تقدم الى محل مبيع الجريدة وابتاع عدداً ومضى في سبيله · وما سار قليلاً حتى وقف في شارع بالقرب من بعض المصابيح الكهربائية واخذ

يتصفح تلك الجريدة ومضى عليه نحو نصف ساعة وهو غارق في المطالعة

وان هو لكذلك واذا بشاب حسن الهندام جميل الصورة قد دنا منه والقى يده على كتفه ثم ناوله غلافاً دون ان ينبس ببنت شفة فاخذ فنطون الغلاف باستغراب ثم فضه فرأى فيه حوالة على ادارة الجريدة التي كان يطالعها بقيمة مئة شلين فجحظت عيناه ونظر الى الفتى مستفهماً متعجباً

فقال الشاب — هذه حوالة لك من ادارة الجريدة التي في يدك وانا من المستخدمين فيها فقد عينت ادارة هذه الجريدة لاعلانات هذا الاسبوع ثلاثة الاف ليرة توزعها حوالات كل حوالة بخمس ليرات على كل من نراه يطالع جريدتنا في الشوارع · فاخبرني الان عن اسمك وعنوانك

فقال له فنطون وقد اشرق وجهه سروراً — اني بلا عنوان يا سيدي لاني من ابناء الشوارع وقد ابتعت جريدتكم بآخر بنس كان لدي ثم قص له قصته

فقال له الشاب بعد ان سمع القصة بكل اصغاء — هلمَّ اذاً معي الى ادارة الجريدة لنبدل لك الحوالة بحوالة اكثر قيمة لانك اعطيتني موضوعاً جديداً للكتابة تستحق لاجله اجراً

ثم سار به الى محل الادارة فسرد فنطون قصته ثانية لاحد المحررين وخرج بعد ذلك وفي جيبه مئتا شلين فبات بعد ذلك قرير العين ناعم البال وقد وطد عزمه ان يصلح شأنه

وقد قرأ في اليوم الثاني جريدة ذلك النهار وفيها قصته بتمامها كما جاءت اعلاه فسر سروراً عظيماً وقال في نفسه : لقد ابتعت هذه السعادة بتلك الخمسة بنسات التي اغثت بها رفيقي وانقذته من الم الجوع الذي لا يطاق

لما استطاعت ان تحصل على ذلك المهر . وانت ياعزيزي الم تقتصد في لذاتك فتحذف منها القليل من الخمر الذي كنت تشربه قبل العشاء ولا تدخن الا سيكارة واحدة او اثنتين ، وكل ذلك لتحافظ على مهر ابنتك وتضاعفه ؟ ان ما يعمله كل منا هو لاسعاد صغيرتنا وليس لمقاضاتها الشكر والحمد

— صحيح ، صحيح . لا ريب في ما تقولين ، ولكنها كثيراً ما تتظاهر امامنا بالغضب، وكثيراً ما تنفر منا . . الم تنتبهي الى نظراتها هذا المساء ؟ .

فقالت الام بصوت كئيب : — نعم انتبهت ! انها لحالة محزنة !

—ثم اني اخاف ان تمرض ! فتصرفاتها في المدة الاخيرة ليست تصرفات فتاة عاقلة حكيمة

— اصمت يا عزيزي اصمت ! فلا استطيع ان اسمع مثل هذا الكلام ولا اقدر ان افكر في ان شفيقة ستمرض يوماً او يصيبها اذى ! لا ، لا اقدر فان تعلقي بهذه الصغيرة لا ينحصر في وصف ولا اعتقد ان هناك اماً تحب ابنتها بقدر ما احب شفيقة ،

كانت شفيقة في تلك الآونة تبكي وراء الباب

كانت تبكي من الخجل والفرح معاً ، من خجل اليم وفرح عذب

واذا سمعت حديث امها عادت الى السلم واخذت تتسلق ادراجها باقدام خفيفة لكيلا توقظ الشبهة في البيت ، ولما دخلت الى مخدعها اقفلت مجرى الغاز

وفي حين كانت تعيد كل شيء الى مكانه وترجع الازهار الى اناء قريب من رسم امها كانت تتمتم مقهورة ومحررة معاً باجمل عواطف الارض قائلة :

— لا ، لا ينبغي ان يعرفا شيئاً . . . لن يعرفا شيئاً !

الياس ابو شبكة

٣٢

السارقة البريئة

حدّثت قارئة الشفاه « مس لي » عن نفسها قالت :

خرجت عند الاصيل على عادتي قاصدة التنزّه في احدى الجنائن الغناء وبينما انا سائرة في طريقي افكر في شقاء هذا العالم الفاني رأيت شاباً في مقتبل الحياة قبيح المنظر مريب الطلعة قد اقترب من فتاةٍ كانت على بعد بعض خطوات مني واخذ يكلمها ثم رأيت الفتاة قد ركنت الى الفرار والخوف آخذ منها كل مأخذ فقفل الشاب راجعاً من حيث اتى وهو يتمتم « حسناً تفعلين ياعزيزتي فانك لم تعلمي مثالتك بعد » . فلما اقترب مني تفرّست به فرأيت علامات الشر والخداع تلوح على وجهه

واصلت سيري الى ان اتيت الى الحديقة المقصودة فنظرت فاذا بالفتاة متكئة الى حائط بجانب مجرى ماء هناك منهوكة القوى وهي تلهث من التعب وعلامات الذّعر والهلع بادية على محياها فاخذني العجب من امرها ودفعتني الشفقة الى الكلام معها فقلتُ « ما خبرُكِ ؟ اتشعرين بألم ؟ » فاجابت بصوت متقطع قائلة « لا — انما — تصدّى لي — رجلٌ في الطريق — وكلمني فطارت نفسي شعاعاً — وكاد يقضي عليّ الخوف » فقلت لها « وما قال لكِ وما شأن هذا الرجل ؟ فاجابتني بصوت هاج في قلبي عواطف الحنان والشفقة « انه سبب احزاني واضطراب افكاري بل سبب بلائي وشقائي هو الذي اوهم اني سارقة مع اني بريئة من كل تهمة باطلة فطردت من عملي والى الان لم

اتمكن من معاطاة شغل اخر به اسدُّ رمقي وادفع عني الم الفاقة » · فتأكدت صحة كلامها وجئت بها الى مطعم مجاور وامرت لها بطعام · فلما تشددت قواها اخذت تقص عليَّ قصتها وكيف انها كانت مربية في بيت تاجر فاتفق ان تعددت السرقات من بيته فاتجهت التهم اليها وهي لا تدري سبب ذلك قالت :

وكان للتاجر معاونٌ يدعى (ترنر) كان قد طلب يدي ورفضته فاضمر الشر في نفسه واوعز لربة البيت ان تبحث عن الامتعة المفقودة في غرفتي بعد ان وضعها هناك خفية ففعلت ووجدت الامتعة وطردتني وانا لا اخ لي ولا اب ولا ذو قرابة سوى زوجة لوالدي وقد تركت بيت ابي لنفور وقع بيننا

فلما رأيتها ضعيفة اليد ولا معين لها عطفت عليها وادخلتها منزلي وقلت لها اقيمي عندي الى ان يمن الله عليك بالفرج

مرَّ علينا بضعة ايام وكانت مس هرس (اسم الفتاة) خلالها تشاطرني الاعمال واشاطرها الامى فوجدت نفسي شديد الولع بها · يزداد حبي لها كلما ازددت بها معرفة وخبرة :

وفي صباح احد الايام بينما كنا نتناول غذاءنا اذ قرع باب غرفتي ودخلت جارة لي تدعى مدام مارشال وهي مشتتة الافكار مضعضعة الحواس واخبرتني بصوت مرتعش ان اللصوص طرقوا منزلها وسرقوا عقد جوهر لها وكانت قد خبأته في صندوق البسكويت حتى لا يهتدي اليه احد وانها عندما دخلت غرفة الاكل في الصباح وجدت الصندوق مطروحاً على المائدة فاسرعت وبحثت عنه ولكن بلا جدوى :

فقمت من ساعتي ورافقتها الى غرفتها فوجدت ان ما فاهت به عين الصواب

فدهشت جداً من كيفية وقوع السرقة · وبينما نحن في ارتباك عظيم اذ دخل هويلر (بوّاب البناية) ومعه بوليس المحافظة فاخذا يبحثان فتركتهما وشأنهما وابت الى غرفتي · فلما وطئت عتبة الباب بادرتني مس هرس بالكلام وقالت وقد علا وجهها الاصفرار « ان السرقات تتبعني حيثما اذهب مع اني اترفع عن مثل هذا العمل الذميم فالافضل لكِ ان توصدي عليَّ الباب او تطرحيني خارج بيتك » فقلت لها انني على يقين يا عزيزتي ان لا يدَ لكِ في سرقة العقد لاني واثق بامانتك وعفة نفسك وترفعك عن كل ما يشين فلمَ تسوئين ظنك بي فاعتذرت عما فرط منها : وظلَّ سرُّ تلك السرقة في عالم الغيب

وبعد مضي عشرة ايام من تاريخ الحادثة قابلني هويلر وقال لي اني يا سيدتي قد اتممت الثانية والثلاثين من العمر قد خلَّفت لي والدتي ميراثاً كافياً يمكنني من معاطاة التجارة واراني الان بحاجة الى فتاة تكون شريكة حياتي تشاطرني السرّاء والضرّاء واعهد اليها في تدبير شؤوني المنزلية واني يا سيدتي اسرّ اليك ميلي الى صديقتك مس هرس وارجو منك ان تساعديني في هذا الامر

فذهلت من كلامه وقلت له « اتعني انك حدَّثت الفتاة بهذا الامر » فقال نعم ولكنها لم تولني الا اذناً صماء لاني اظنها تميل الى فتى يختلف اليها وهو على ما يظهر سيء المخبر · فقلت وهل انت على يقين مما تقول فاني لم اكن احسب ان للفتاة صديقاً في هذه الدنيا فقال نعم هي تعرف شابين وتخاف من احدهما مخافة شديدة ولكنها ترتاح الى رؤية الثاني · وكيفية استطلاعي الامر هو اني رايتها يوماً مسرعة نحو البيت مذعورة وقلبها يخفق من الاضطراب وعندما اقتربت مني صاحت بصوت متهدج « امنعه من الدخول امنعه من

الدخول » وبعد قليل رايت فتىً يتبعها وقد وقف على الباب وهمَّ بالدخول فاعترضته وخلصتها منه

وفي اليوم الثاني خرجت الى احد الشوارع فرايت مس هرس قدخرجت فاقتفيت اثرها الى ان اتت محلاً بان لي انها كانت تختلف اليه كثيراً ثم ركبت مع شابٍ طويل القامة مركبةً جرت بهما جرياً حثيثاً الى حيث لا ادري ولم ترجع الا بعد غروب الشمس وكانت كاسفة البال كئيبة النفس مما يدلُّ على قلق في النفس وحيرة واني متأكد يا سيدتي انها اجتمعت بالفتى المذكور فرحماكِ اعينيني على بلوغ آمالي . فوعدته خيراً وانصرف

انتهزت اول فرصة سنحت لي بمقابلة الفتاة واعلمتها بالامر فلم تطب عنه نفساً

وبينما كانت ذات يوم تنسخ بعض الاوراق توسمت من ملامح وجهها ان في قلبها غماً شديداً كانها في بحران فسألتها والابتسامة بادية على شفتي « عزيزتي مس هرس بماذا تفكرين فاجابت مذعورة لا ادري فاني كثيراً ما استيقظ من منامي فاجد نفسي كاني اناجي بعض الارواح فاحسبها اضغاث احلام وقد اخذت مني هذه العادة كل مأخذ حتى اصبحت تتوارد عليَّ في اليقظة » فغيرت موضوع الكلام وقلت لها « اظنك تفكرين برجلٍ يكون لك عوناً في هذه الحياة » فقالت وماذا تعنين ? فقلت الم يكلمك هوبلر بهذا الشان ? فتغيرت ملامحها ونظرت اليَّ بعين تشف عن اسرارٍ كامنة في النفس وقالت بصوت تقطعه التنهدات العميقة « يهون عليَّ ان ارى شبح الموت امامي ولا اسمع مثل هذا الخطاب » وخرجت من الغرفة وهي تتنهد فشخصت ببصري اليها واخذت افكر في امرها لعلي اكشف مخبآت صدرها

وحدث في الغد اني كنت سائرة في احد الشوارع فرايت امامي شخصاً متنكراً فتفرست به فاذا هو الشخص الذي كان قد تبع مس هرس واوقع في قلبها الرعب · فعوّلت على تتبع خطواته طمعاً باستطلاع بعض شؤونه فتبعته حتى دخل مطعماً وجلس بجانب رجل كان ينتظره هناك فدخلت وجلست بحيث استطيع مشاهدتهما وجهاً لوجه فاخذا يتهامسان وكان يتعذر عليّ سماع كلامهما ولكن حركة شفاههما كانت واضحة جداً فتمكنت من قراءة ما كانا يتهامسان به وفهمت انهما قد دبرا مكيدة لاختلاس جواهر المستر منتاكو · وقد اتى ترنر (الفتى التي تتبعت اثره) ليعلم اذا كان رفيقه على استعداد تام فقال الثاني وكيف لا وان مس هرس رهينة اشارتي واطوع لي من بناني · الا تذكر كيف تمكنا من اختلاس عقد مدام مارشال بلا تعب ولا عناء الم يكن الفضل في ذلك لما لي عليها من التأثير والسلطان ؟ ولكن علينا ان نجهزها بالالات اللازمة ليتيسر لها الدخول الى البيت واظن ذلك يسير عليّ

فتركتهما وخرجت من ساعتي قاصدة مقابلة الدكتور ريدرمان وكان جرّاحاً ماهراً وعالماً من اكبر علماء الامراض العقلية ولم اكتف بذلك بل كاشفت مدير البوليس بالامر تلفونياً وطلبت منه ان يوافيني الى بيت الدكتور المذكور

فلما استقرّ بنا الجلوس اخذت اقص عليهما قصة الفتاة كما عرفتها وكيف انها تضعضعت حواسها عندما سمعت بسرعة عقد الجوهر من بيت جارتنا وكيف ان الشابين عازمان على سرقة جواهر المستر منتاكو وانه سيكون للفتاة يدٌ في اختلاس الجواهر لانها تخضع ممتثلة لارادة احدهما على رغم ما في نفسها الكبيرة من القوى والمواهب فهو يستهويها استهواء فلا تشعر بما تفعل · واخبرتهما

الدكتور ريدرمان وهو بلر البواب وهي تسير غير مبالية بشيء الى ان وصلت الى المحل التي كانت تختلف اليه كثيراً وكان البوليس ينتظر وصولها. ثم ركبت مركبة هي والفتى وتواريا عن الابصار فاسرع البوليس الى مركبته بعد ان ركبنا معه واخذ يجدّ في مسيره حتى اقتربنا منهما ورأينا الفتى قد نزل باسرع من لمح البصر ودخل منزلاً قريباً واوصد الباب وراءه ودخلت الفتاة بيتاً اخر وقد نهكها التعب والهيجان

وقفت مركبتنا امام البيت فاخذ البوليس مفتاحاً من جيبه وفتح به الباب وامرنا بالدخول فوقفت في وجهنا عجوز شمطاء واخذت تصيح وتشتم فلكمها البوليس وتقدم الى الامام مسرعاً وشرع يطوف في البيت باحثاً عن الفتى حتى وصل الى غرفة موصدة فتاكد ان الجاني الاثيم داخلها فامر بعض رجاله فكسروا الباب ودخلنا جميعنا. وكان في الغرفة رجلان وكان الاول ترنر الفتى الذي كانت الفتاة تخاف لقاءه والثاني الفتى الذي كان متسلطاً عليها فلما سمعا كسر الباب رمى احدهما نفسه من نافذة المنزل فسقط الى الارض جثة هامدة فامر البوليس اثنين من رجاله ان يحافظا على الجثة فامتثلا اوامره ثم التفت الى الاول وقال له لا تحاول هلاك نفسك بيدك فاستسلم الى القضاء فكبلوه وساقوه امامهم

وارجعت جميع الاوراق المالية والمجوهرات الى صاحبها من دون ان يفقد منها شيء

فلما رجعت الى بيتي دخلت قاعة الاستقبال فوجدت مس هرس مستلقية على مقعد وقد غطت راسها بيديها وهي تبكي والبواب هو بلر بجانبها يعزيها ويخفف الامها ثم قال لها: — خففي عنكِ يا عزيزتي وجففي دموعكِ واخفي

هذه الكآبة الظاهرة على محياكِ فقد ظهرت براءتك وتعالي معي نقتسم سرور الحياة واحزانها . فقبلت طلبه وعاشا معاً حياة سرور وسعادة وكانت قارئة الشفاه مس لي اصدق صديقٍ لهما

تعريب محمد زين (عن الانكليزية)

٣٣
الجندي الباسل

في احدى مواقع الحرب السبعينية اسر الالمان خمسة من الجنود الافرنسية وساقوهم الى معسكرهم فكاد احد هؤلاء الاسرى يتميز غيظاً لوقوعه بين ايدي اعدائه وآثر الموت الزؤام على الحياة في الذل والهوان فعمد الى حيلة مكنته من الخلاص وهي انه لما احضر امام قائد الالمان قال له انه الخادم الخاص للقائد الفرنساوي فيدهيرب واستند الى قوله هذا بكون الجواد الذي كان تحته ساعة اسر كان جواد قائده فلذلك هو يعتبر اسره مغايراً لشرائع العدالة

فجازت الحيلة على القائد الالماني فكتب من فوره رسالة الى القائد الافرنسي اعتذر بها عن اسر خادمه الخاص وسلمها الاسير بعد ان ارجع له الجواد واوصى جميع العساكر بان يمكنوه من مغادرة المعسكر فاخذها هذا ولكز جواده فطار ينهب به الارض نهباً الى ان وصل الى قائده فيدهيرب فوجده غائصاً في بحر التأمل امام خارطة حربية فاعطاه الرسالة ففضها وقراها ولم يلبث ان قطب حاجبيه وسأل الجندي قائلاً :

ما معنى هذه الرسالة

هي حيلة استعملتها لانجو من الامر والهون ولاعود فانضم الى رفاقي وادافع عن الوطن جهدي

بئست الحيلة حيلتك ان كنت يا هذا تسميها حيلة اما انا فلا اسميها الا كذباً وافكاً والذي يسوءني هو ادخالك اسمي وشرفي بهذا الاختلاق · زعمت انك رجعت تدافع عن الوطن وما علمت بانك الحقت به عاراً ودنست الشرف الافرنسي ·

نعم ان الحيل ابان الحرب مسموح بها لكن الكذب ممنوع مهما كانت ظروفه

قال القائد هذا الكلام وهو يرتجف من شدة الغيظ والكدر فاطرق الجندي ملياً ثم قال :

يا قائدي المحبوب انك مصيب بقولك فاعذرني وتناسَ هفوتي وها انا راجع اغسل اساءتي وامحو العار الذي الحقته بالاسم الافرنسي دون تعمد بتسليم نفسي الى ايدي اعدائي وسابقى هناك حتى تاتي انت ورفاقي وتخلصوني

فقال له القائد : لاعدمك الوطن ايها الجندي الباسل · اذهب رافقتك السلامة فاعتلى هذا صهوة جواده واخترق الجيش تحيته الجنود وقفل راجعاً الى الالمانيين وسلم نفسه

(دير القمر)

❋ فهرس الجزء الثاني من الاطايب ❋

خاتمة

تمَّ الجزء الثاني من الاطايب وهو يتضمن اربع عشرة رواية وبضمها الى التسع عشرة حكاية التي وردت في الجزء الاول يصبح عدد الحكايات والروايات في الجزئين ثلاثاً وثلاثين بين تاريخية وتمثيلية وتخيلية وكلها تهذيبية يقصد بها تغذية النفوس بساميات المبادئ · فمن اراد اقتناء جزئي الاطايب معاً او اقتناء احدهما فليفاوض جامع هذه السلسلة (جرجس الخوري المقدسي — جامعة بيروت الاميركية) وتسهيلاً للحصول عليهما قد جعل ثمن الجزء الواحد للادباء والاديبات خمسة فرنكات في لبنان وسوريا وستة فرنكات خارجهما خالص اجرة البريد فبارسال الثمن مع العنوان ترسل الاجزاء